مشروع لتفتيت السودان

يا أيُّها الذين آمنوا استجيبُوا لله وللرَّسُول

١٥٤

الوعـــــي

العدد (١٥٤) ـ السنة الرابعة عشرة ـ ذو القعدة ١٤٢٠هـ ـ شباط ٢٠٠٠م

الصراع الفكري والكفاح السياسي (٢)

المصارف اللاربوية (٤)

الأمّة قادرة الآن على تحقيق المنهاج الإسلامي

خبير ألماني: على الغرب التعامل مع الإسلاميين

التحدي بالقرآن الكريم

مجزرة الطنطورة وابتزازات اليهود

AL-WAIE

الوعي

السنة الرابعة عشرة – ١٥٤

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ص.ب ١٣٥٠٩٩
شوران – بيروت
لبنان

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٢ مارك
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٣٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (١٥٤)

ص

- كلمة الوعي: الأمّة قادرة الآن على تحقيق المنهاج الإسلامي ٣
- أثر فساد الاقتصاد الغربي في البشرية (٢) ٥
- واقع المصارف اللاربوية (٤) ٨
- خبير ألماني: على الغرب التعامل مع الإسلاميين ١٢
- عقل هاشم وصفير ١٣
- مع القرآن الكريم: التحدي بالقرآن الكريم ١٤
- أخبار المسلمين في العالم ١٧
- سياسة تضليل العمل الإسلامي (٢) ٢١
- الصراع الفكري والكفاح السياسي (٢) ٢٣
- المشروع الأميركي لتفتيت السودان ٢٧
- كلمة أخيرة: مجزرة الطنطورة عام ١٩٤٨م وابتزاز اليهود للنمسا عام ٢٠٠٠م ٣٥

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
10749 Berlin
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
AL -WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

كندا : Canada
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www. al-waie.org

اليمن
Mr. M. Amer
P.O Box: 11610
Sanaa - Yemen

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

أميركا U.S.A
AL - WAIE
P.O.Box 370782
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

الأمّة قادرة الآن على تحقيق المنهاج الإسلامي

أميركا جاهدة الآن للسيطرة على العالم بأسره، ليس من أجل خدمة العالم وراحته وهدايته بل من أجل استعماره والاستئثار بخيراته. فالمرشح للرئاسة الأميركية جون ماكين قال في مؤتمر الحزب الجمهوري في كاليفورنيا في ٢٠٠٠/٠٢/٠٥ (بأن أفضل ما يمكن للعالم أن يفعله هو أن يقترب أكثر من النموذج الأميركي، وإنه للولايات المتحدة أن تفعل كل ما بوسعها لإعادة صوغ العالم وفق صورتها هي بالذات)، وأضاف: إن «عالماً تملك فيه مثلنا فرصة واقعية لأن تصبح عقيدة شاملة كان هدفنا الرئيسي في هذا القرن». ثم يبيّن أن ذلك ليس من أجل القيم الأميركية بل من أجل المصالح الحيوية الأميركية: إن «إسرائيل حليف قوي وديموقراطي في منطقة لا تلقى قيمنا السياسية فيها الترحيب بشكل عام وحيث توجد لنا مصالح حيوية كثيرة». وهو يَعِدُ بأن (يتدخل بوسائل عسكرية مباشرة أو بدعم علني لحركات المعارضة للإطاحة بأية قوة في العالم تفكر في أن تتحدى تفوّق أميركا الثقافي والسياسي والاقتصادي والعسكري).

نحن الأمة الإسلامية نرفض أن نبقى مزرعة أو مصلحة حيوية لأميركا وغيرها من الدول الاستعمارية. ونرفض أن نبقى محكومين من عملاء أميركا وغيرها من الدول الاستعمارية. ونرفض أن نبقى ممزقين إلى بضع وخمسين دويلة كرتونية. ونرفض أن تُطبَّق علينا أنظمة الكفر والضلالة التي يسمونها النموذج الأميركي والقِيَم الأميركية والمُثُل الأميركية. ونحن قادرون على تجسيد هذا الرفض وإبرازه إلى حيّز الوجود بعون الله.

نحن أمة أعزها الله بالإسلام، ومهما طلبنا العزة بغيره أذلّنا الله. نحن، الأمّةَ الإسلامية، قادةُ العالم وليس أميركا ولا غيرها من دول الغرب أو الشرق. نحن لا نقود العالم لاستغلاله ومصّ دمائه بل نقوده إلى الهدى وإلى مصالحه وإلى مساواته بأنفسنا فيصبح أخاً لنا حين يحمل عقيدتنا وقِيَمَنا ومُثُلَنا، وتاريخُنا شاهد على ذلك.

إن قيادة العالم هي رسالة اختار الله الأمة الإسلامية وحدها بعد محمد ﷺ لحملها للناس، قال سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهوْن عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ وقال: ﴿وكذلك جعلناكم أمّةً وَسَطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾. والأمة الإسلامية وحدها تحمل الهدى والنور، وجميع الأمم والملل الأخرى تعيش في الضلالات والظلمات، قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾. فليثقْ أبناء الأمة الإسلامية بإسلامهم ولْيتمسكوا به ويَعَضُّوا عليه بالنواجذ، فإنهم على المَحَجَّة البيضاء، ولا يلتفتوا يمنة ويسرة، فالدجّال الأميركي يحاول إغواءهم وفتنتهم عن الحق المبين، وكثير من أبناء المسلمين أصابتهم هذه اللوثة وفُتِنّوا بها، نسأل الله أن يعيدهم إلى الهدى.

هذه الكلمة ليست لعقد مقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية: أيهما أفضل وأصلح للناس والمجتمعات، إذ يكفي أن نعرف أن الحضارة الإسلامية هي من الخالق سبحانه، والحضارة الغربية من أهواء بعض الأفراد وشهواتهم وجشعهم. ولكن القصد الأول من هذه الكلمة هو تبيان، بإشارات مختصرة، أن الأمة الإسلامية الآن قادرة ليس فقط على التحرر من ربقة الكفار وأنظمتهم وثقافتهم وعملائهم، بل قادرة

أيضاً على إقامة المنهاج (النموذج) الإسلامي واستئناف الحياة الإسلامية، وقادرة على حمل الدعوة إلى العالم ومنه أميركا وأوروبا.

● لا يوجد في البلاد الإسلامية نظام يُكِنُّ له الناس الاحترامَ أو يحملون له الولاء. والاستفتاءات أو الانتخابات التي يعلنون فيها عن ٩٩ بالمائة هي تدجيل. فلا يوجد سند من الأمة لهذه الأنظمة، فهي مفروضة ومسنودة بقوى بوليسية قمعية. وكيف يكون لهذه الأنظمة احترام أو ولاء وهي تذلّ شعوبها بهرولتها للركوع أمام اليهود، وبإفقارها شعوبَها بنهب ثروة الدولة للحاشية وللأسياد المستعمرين! فالسعودية التي تُعَدُّ أغنى دولة في البلاد الإسلامية عليها ديون مقدارها (١٣١,٤١٦) بليون دولار حسب تقرير رسمي أصدره د. عبد العزيز الدخيل ونشرته الصحف في ٢٠٠٠/٠٢/٠٧، وهذه الديون تزداد وتتراكم عاماً بعد عام للإنفاق على الجيش الأميركي الذي يحتل السعودية وغيرها.

● لقد ثبت للأمة الإسلامية جميعاً، عرباً وغير عرب، فشلُ كل الأنظمة التي طُبقت عليها: الاشتراكية والقومية والبعثية والملكية والجمهورية والعلمانية... وفشلت الأنظمة البوليسية. وسقطت الشيوعية في عقر دارها. وفشلت أيضاً الأنظمة الليبرالية الغربية في جنوب شرق آسيا وفي روسيا حين حاولت تطبيقها بدل الاشتراكية. والعافيةُ التي تبدو على النظام الأميركي وبعض الأنظمة الأوروبية سببها الاستعمار ونهب ثروات الدول المستعمَرة وليس سببها صحة النظام الليبرالي الغربي. ولذلك فالأمة الإسلامية صارت عندها قناعة أن خلاصها لا يكون إلا في النظام الإسلامي بعد أن لمست فشل جميع الأنظمة الأخرى.

● المسلمون تحركوا عملياً من أجل إعادة الإسلام كاملاً إلى معترك الحياة. والجميع يريد إقامة الدولة الإسلامية (الخلافة)، وتطبيق الإسلام كاملاً في الحكم والاقتصاد والعلاقات الدولية والعقوبات... الخ وهذا يشير إلى أن الأمة في غالبيتها الساحقة تسعى إلى إقامة الإسلام، ولا يمنعها إلا أنظمة القمع البوليسية الموجهة من أنظمة الكفر الاستعمارية من خارج البلاد. والناظر إلى خارطة العالم الإسلامي يرى أن لا عمل للأنظمة الحاكمة إلا محاربة الدعاة إلى الإسلام واعتقالهم وقتلهم وتشويه سمعتهم. وعلماء السلاطين يوافقون الأنظمة الحاكمة على فسادها وظلمها!

● المسلمون الآن مستعدون للتضحية والبذل إلى أبعد الحدود، ومستعدون لمجابهة قوات ليس فقط تفوقهم بعشرة أضعاف بل بمئات الأضعاف، ونحن نرى نماذج حية من ذلك في الروح الاستشهادية البادية في مقاومة الشيشان للروس وفي المقاومة الإسلامية لإسرائيل.

● دول الغرب، وعلى رأسها أميركا، رأوا أن العاملين لعودة الإسلام إلى الحكم (يسمونهم أصوليين) سيصلون إلى الحكم. هناك تيار في الغرب يرى أنه لا بد من سحق جميع (الأصوليين) في مهدهم. وهناك تيار يرى أن ذلك السحق مستحيل وأنهم واصلون لا محالة إلى السلطة، ولذلك فالحكمة تقتضي التمييز بين المتشددين والمعتدلين من (الأصوليين) والعمل على مساعدة المعتدلين الذين يمكن التفاهم معهم ومحاربة المتشددين. غراهام فولر (رئيس CIA سابق) هو من هذا الرأي. والخبير الألماني مارسيل بوت هو أيضاً من هذا الرأي (أنظر ص١٢ من هذا العدد). وقد لاحظنا أن الحكومة الأميركية تبنت هذا الرأي. فقد كانت استدعت د. حسن الترابي ليقدم شهادته عن الأصولية الإسلامية أمام الكونغرس، وحاولت تسويقه. وحاولت تسويق حزب أربكان في تركيا، وأفشلها الجيش التركي العلماني. وكانت أميركا قد ساعد المجاهدين في أفغانستان وسخّرتهم لمحاربة الروس، ثم أوقعت الفتنة بينهم لتري المسلمين أن الإسلام لم يعد يصلح في هذه الأيام. فأميركا تريد إجهاض العمل الإسلامي الصحيح بإيصال من تستطيع أن تحرفهم عن الإسلام باسم الاعتدال وجَعْلِهم عملاءَ لها. ولكن مكر أميركا والكفارِ جميعاً سيعود إلى نحورهم بإذن الله ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ □

أثر فساد الاقتصاد الغربي في البشرية (٢)

تحدثنا في الحلقة الماضية عن فساد الأسس الاقتصادية في أنظمة الغرب والتي بني عليها بناؤهم الاقتصادي، الذي لا يقل فسادا عن أساسه، بل هو امتداد لهذا الفساد.

ولنا في هذا المقال عبرة بقوله تعالى وهو يربط ما بين الأساس والبناء في صلاح المجتمع وصلاح أعماله: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾التوبة١٠٩. وقال: ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾النحل٢٦.

إن البناء الاقتصادي الغربي يتمثل في ثلاثة ركائز أساسية، هي: النظام المصرفي والبنوك، والشركات الرأسمالية، والنظام النقدي الورقي.

وفي موضوعنا هذا لن نتحدث عن أحكام هذه الركائز، فهذا يحتاج إلى أبحاث والحديث فيه يطول، ولكن سنتحدث باختصار عن الدمار الاقتصادي الذي جلبته هذه الركائز بما تفرع عنها من مؤسسات على مجتمعات الغرب بشكل خاص وعلى البشرية بشكل عام.

❖ **أولا: النظام المصرفي والبنوك:**

المصارف والبنوك في أنظمة الغرب قائمة على أساس اقتصادي فاسد، هو تحقيق المنفعة المادية التي تشبع حاجة بغض النظر عن الدمار على الفرد والمجتمع بشكل عام.

وهي في نظرنا نحن المسلمين قائمة على أساس الربا الذي قال الحق تبارك وتعالى فيه: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾. البقرة ٢٧٥

وعلى أساس الكنز الذي قال الحق تبارك وتعالى فيه: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾التوبة ٣٤.

فالبنوك، والمؤسسات المصرفية في مجتمعات الغرب قائمة على هذا الأساس، فهي مؤسسات ضخمة تتشكل في غالبها عن طريق مؤسسات خاصة يملكها شخص أو مجموعة أشخاص من الأثرياء، أو تتشكل بنظام الشركات المساهمة، عن طريق ما يودعه الناس من أموال في هذه المؤسسات.

وطبيعة أعمالها في الغالب تقوم على منفعة الأموال "الربا" فتجمع المال من أيدي الناس متفرقا بنسبة ربا قليلة، وتقرضه لآخرين بنسبة ربا مرتفعة، أو تقوم المؤسسات الصغيرة بالإيداع في مؤسسات أكبر تحقق فائدة ـ ربا ـ أكبر، في نفس الدولة أو في دولة أخرى.

وقد تقوم أيضا بأعمال ومشاريع هي بنفسها عن طريق إغلاق إيداعات قسم من الناس لمدد زمنية طويلة بزيادة نسبة الفائدة لهم.

أما خطر هذه المؤسسات وآثارها المدمرة في المجتمع فتتمثل:

أولا: تجعل المال دولة بين أيدي فئة معينة في المجتمع وتحرم بقية الناس من تداول هذا المال، فعن طريق الفائدة يسحب المال من أيدي الناس، وعن طريقها كذلك يمكن الرأسماليين الكبار القادرين على الاستثمار والسداد من أخذ كميات كبيرة من المال من هذه البنوك، وهذا بالتالي يزيد الفقراء فقرا والأغنياء غنى. فالأغنياء ينشئون المشاريع الضخمة التي تتحكم باقتصاد البلد، والفقراء يعيشون تحت رحمة هذه الطبقة، من حيث عرض السلع والخدمات وتحديد الأثمان لها، وتصبح إيداعات الطبقة الكادحة أو الفقيرة

في البنوك هي أداة لجلب الشرور عليها بعكس ظنها أنها ستجلب لها الخير، وتصبح الفوائد التي تأخذها من البنوك الربوية شريانا جديدا يصب في روافد الأغنياء بطريقة أو بأخرى.

ثانيا: بروز سياسة التحكمات في الإنتاج والاستهلاك، وذلك أن الرأسماليين الكبار أصحاب الشركات هم الذين يفرضون الثمن للسلعة المنتجة بسبب احتكارهم للمشاريع وعدم قدرة غيرهم على إنشاء مثل هذه الشركات الضخمة، والبنوك غالبا ما تساعد في هذه السياسة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فقد يقوم البنك هو نفسه بإنشاء مشاريع لسلع معينة، ويشترط على مستثمرين آخرين عدم منافستهم في ذلك، أو قد يساعد رأسماليين معينين على هذا التحكم بمنع آخرين من منافستهم، إما بإقناعهم أن هذه المشاريع غير مجدية اقتصاديا ولا تمكنهم من سداد الديون، وإما بالاشتراط مباشرة عليهم عدم تأسيس مثل هذه المشاريع وذلك بالاتفاق مع عملاء آخرين.

ثالثا: تؤثر البنوك في غلاء الأسعار في المجتمع، وذلك بسبب احتكار المشاريع من قبل الرأسماليين والذين بدورهم يفرضون الأسعار التي يرونها، فيقومون برفع السعر أو بسحب البضاعة أو بطرحها متى شاءوا، وبسبب الفوائد البنكية المستحقة على أصحاب الشركات والتي تدفعهم لسداد هذه الفوائد في أقرب وقت ممكن عن طريق رفع الأسعار على المستهلكين.

وهذا الأمر أي مسألة تحكم الرأسماليين في الأسعار-يدفع الدولة أحيانا للتدخل بنظام ترقيعات يفرض أسعارا معينة لسلع معينة، أو لدعم سلع معينة من قبل الدولة لتمكين المواطن من استهلاكها أو باستيراد سلع معينة وطرحها في السوق لخفض الأسعار.

رابعا: يساعد البنك في الأزمات التي تحصل في أسواق المال، إما بإقراض المتعاملين في سوق الأسهم مباشرة الأموال الضخمة التي تمكنهم من شراء أسهم كبيرة لمشاريع معينة وبالتالي رفع قيمة هذه الأسهم في البورصة وبالتالي إبقاء الناس في الوهم أن هذه الأسهم ارتفعت قيمتها فعلا فيقدم الناس على شراء هذه الأسهم بشكل جنوني ما يزيد في ارتفاع سعرها مرة أخرى وبعد أن يتم شراء كميات كبيرة من هذه الأسهم من قبل الناس، تهبط هذه الأسهم هبوطا مفاجئا وذلك بعد زوال الهدف الذي من أجله رفعت وهو إيقاع الناس في الوهم.

ومما يزيد الطين بلة، الارتباك الذي يحصل بين الناس فيقبلون على بيع الأسهم بشكل جنوني، مما يزيد عملية الهبوط، وهذا الأمر يدمر كثيرا من الأشخاص، وقد يؤدي إلى كوارث اقتصادية، أو إلى زوال حكومات.

ويقوم البنك كذلك بتغطية خسائر المتعاملين في سوق الأسهم من الذين تعرضوا للخسارة، وذلك عن طريق إقراضهم الأموال التي تمكنهم من الاستمرارية في عمليات المضاربة، وهذا بالتالي يؤدي إلى حدوث كوارث اقتصادية لهؤلاء الناس بسبب ارتهانهم للبنوك وعدم قدرتهم على تسديد الأموال "القروض" أو فوائد هذه القروض.

خامسا: تهريب رؤوس الأموال في الدول النامية أو ما تسمى بالدول الفقيرة ـ دول العالم الثالث ـ وذلك عن طريق إنشاء بنوك أجنبية في هذه البلدان وبالتالي سحب الأموال من أيدي الناس مباشرة لصالح الدول الأجنبية، وإما عن طريق البنوك المحلية والتي تقوم بدورها بسحب الأموال من أيدي الناس متفرقة بنسبة فوائد قليلة تصل إلى سبعة أو ثمانية بالمائة، وإيداعها في بنوك الغرب بنسبة فائدة أعلى وهي مجمعة بملايين الدولارات.

وهذا الأمر فيه خطر كبير على هذه البلدان حيث يحرم البلد من رأس ماله الذي يمكنه من إنشاء المشاريع، ويضعه في أيدي دول أخرى

تستغله في مشاريع عندها. وهناك بعض الدول تفرض رقابة معينة على خروج رؤوس الأموال، وهناك من الدول من يفتح الباب على مصراعيه للاستثمارات ولإنشاء البنوك وغير ذلك كما حدث في الكويت أخيراً.

سادساً: أهداف استعمارية: وهذا يتمثل بأعمال بعض الدول ذات الغطاء النقدي لعملات أخرى أو الدول الصناعية ذات النقد القوي العالمي.

فالولايات المتحدة مثلاً ترفع سعر الفائدة في بنوكها لتجذب الأموال إليها وبالتالي زيادة كميات المال في بلادها التي تمكنها من المشاريع. أو نتيجة تعرض عملتها لهزات أدت إلى خفض قيمتها بسبب قيامها بأعمال كبيرة إما اقتصادية أو عسكرية، فتلجأ إلى هذه الطريقة لدعم عملتها داخل بلادها.

وتلجأ أحياناً أخرى عن طريق البنك المركزي بإصدار كميات كبيرة من الدولار الأميركي، الغطاء النقدي للعملات الأخرى، وبالتالي تنخفض قيمة هذه العملة بسبب طرح كميات زائدة منها في السوق فتجبر الدول المرتبطة بالدولار إجباراً لشراء الكميات الزائدة في السوق لتحافظ على قيمة مدخراتها بالدولار، ولتحافظ أيضا على قيمة نقدها.

وقد تقوم الدول مثل الولايات المتحدة بخفض قيمة عملتها مباشرة عن طريق البنك المركزي لأسباب تجارية حيث تشجع التجار على شراء البضائع من بلادها بسبب انخفاض أسعارها مقارنة مع دول أخرى بسبب انخفاض العملة لذلك البلد، أي بسبب انخفاض الأسعار لهذه السلع نتيجة انخفاض الدولار الأميركي.

هذه بعض الآثار المدمرة التي تسببها البنوك في مجتمعات الغرب وفي مجتمعات أخرى. وهناك آثار أخرى كثيرة ليس هناك مجال في هذا المقال يذكرها، فمثل هذا الموضوع يحتاج إلى مجلد كامل يشرح فيه هذه الآثار المترتبة على هذه البنوك وعلى أنظمتها الفاسدة.

❖ ثانيا: الشركات الرأسمالية وآثارها السيئة في المجتمعات:

الشركات الرأسمالية لا تختلف كثيرا عن البنوك بل هي من جنسها، فطريقة إنشائها وطريقة تحصيلها للمال، وطبيعة أعمالها لا تختلف كثيراً عن البنوك بل تشبهها إلى حد كبير، وقد تكون البنوك كما قلنا هي شركات رأسمالية.

فالشركات الرأسمالية تساعد في جعل المال دولة بين أيدي فئة معينة في المجتمع، وتشجع فكرة كنز المال، وتنمي الاحتكارات الاقتصادية بأنواعها، في احتكار السلع والأسواق، والمواد الخام وتخلق طبقة من العبيد في المجتمع، طبقة مسلوبة الإرادة والقرار والحرية بسبب الأموال والإغراءات التي يقدمها الرأسماليون في سلب قراراتهم وحرياتهم، وتجعل الطبقة الحاكمة في المجتمع هي فقط طبقة الرأسماليين الكبار أصحاب الشركات الكبرى، وتحرم بقية الناس من هذه الميزة، حيث أن هذه الطبقة هي القادرة على شراء الأصوات دون غيرها، وكذلك تغذي فكرة الطبقية في المجتمع، فالمجتمع الرأسمالي ينمي إيجاد طبقتين طبقة الرأسماليين الكبار "الأسياد" وطبقة الفقراء الكادحين "العبيد".

والشركات الرأسمالية تسبب غلاء الأسعار بسبب سياسة التحكمات وإغلاق الأسواق.

وهناك قضية خطيرة تسببها الشركات الرأسمالية والبنوك في آن واحد وهي فكرة الاستثمار خارج البلاد وذلك من أجل تحصيل المال من أيدي الناس، وتحصيل المواد الخام بأبخس الأسعار وإيجاد أسواق للسلع والمنتجات، ولتحقيق أكبر قيمة للثمنية، ولا غرابة إذا قلنا أن فكرة الاستثمار الأول كانت اقتصادية بحتة، بسبب طموحات أصحاب الشركات الرأسمالية مثل شركات البترول وشركات الحديد والصلب ❑

[يتبع]

واقع المصارف اللاربوية (٤)

كان في ذهن القائمين على المصارف اللاربوية تحقيق هدفين: أولهما وأهمهما تخليص المسلمين من إثم التعامل بالربا مع المصارف الربوية، وثانيهما تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المسلمين المتخلفة. فهل استطاعت المصارف اللاربوية تحقيق هذه الأهداف أو بعضها؟ أم أنها انحرفت عن أهدافها، وصارت تستثمر أموالها خارج البلاد الإسلامية، وفي مشاريع لا تمت إلى التنمية بصلة؟ هذا ما ناقشناه في الحلقات السابقة وما نستكمله في هذه الحلقة موضحين مخالفات هذه المصارف والبديل لها:

المخالفات الشرعية التي ترتكبها المصارف اللاربوية:

١ـ تعاملها مع المصارف الربوية:

ذلك باعتراف أحد أكبر هذه المصارف وهو الأمير محمد الفيصل صاحب دار المال الإسلامي حيث يقول: «ونتعامل معها في جزء من أموالنا وتعاملنا معها ضروري لأن المصارف الإسلامية نقطة في بحر». وهذا يعني أنهم يودعون أموالهم فيها مقابل فوائد ربوية، لأن المصارف الربوية لا تفهم إلا لغة الإقراض بفائدة والاقتراض بفائدة ولا تقوم بعمل تجاري مثل البيع والشراء.

ويقول الأمين العام للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية (سمير عابد الشيخ): «لا بد من التعايش السلمي بين البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية ومد جسور التعاون وإيجاد لغة للتفاهم فيما بينها، هذا من أجل مستقبل العالم بأكمله، وبهذا التعاون ومد الجسور سيفيد كل منهما الآخر».

وتعليقا على هذا القول أقول: لقد طرحوا أنفسهم بديلا كاملا عن المصارف الربوية ووعدوا المسلمين بمستقبل خال من الربا تماما وخال من المصارف الربوية حتى نطهر العالم من رجس الربا فإذا بهم يعودون للاعتراف بوجود المصارف الربوية وبشرعية وجودها وبضرورة التعاون معها ومد الجسور فيفيد كل منهما الآخر، أي نفيد المؤسسات الربوية وتفيدنا هكذا بكل بساطة.

٢ـ التحول من تنمية العالم الإسلامي إلى تنمية العالم الغربي:

لقد قامت هذه المصارف بطرح نفسها كمؤسسات لتنمية العالم الإسلامي، ولكنها خرجت بملياراتها إلى مصارف الغرب وأسواقه المالية والمضاربة في البورصة، والمتاجرة بالذهب والفضة في بورصات العالم ففسرت الملايين في هذه المضاربات، وارتكبت الحرام من خلال إيداع المال في مصارف ربوية وأخذ فائدة عنه، ومن خلال المتاجرة بالذهب والفضة في البورصة دون حصول تقابض فوري بل بيع حاضر وقبض مؤجل أو العكس. وفيما يلي اعترافاتهم بألسنتهم:

قال الدكتور أحمد عبد العزيز النجار «ويفضل تسمية هذه البنوك بالبنوك الإسلامية لأنها قامت بالوظيفة السلبية... ولكنها لم تقم حتى الآن بقدر ملموس من الوظائف الإيجابية بوصفها مؤسسات إنتاجية إسلامية».

وقال أحد رجال المصارف وهو إبراهيم السبع: «إن البنوك الإسلامية حتى فترة قريبة لم تشارك في التنمية بالشكل المطلوب».

وقال الدكتور النجار: إن الممارسة العملية حتى الآن لم تحقق الهدف من إنشاء البنوك الإسلامية ولم تقربنا للغاية، وهناك شك كبير في إمكان تعديل مسارها... إن العلة في فشل البنوك الإسلامية هي في ندرة من يمكن أن تطلق عليهم حملة الرسالة، إن المؤسسات المالية الإسلامية لم

تأخذ من المنظومة المالية الإسلامية سوى عنصر واحد هو عاطفة الجماهير الإسلامية».

وقام بيت التمويل الكويتي باستثمارات عقارية في الولايات المتحدة الأميركية بمبلغ ٤٩ مليون دولار. وقال مساعد المدير العام لهذا المصرف (وليد الرويح) في مؤتمر صحفي إنه تم عام ١٩٩٥م إبرام صفقات مرابحة كبرى مع كبرى الشركات العالمية بقيمة ٦٠٠ مليون دولار إضافة إلى طرح محفظة الدانة العقارية التي تتكون من ثلاثة مشاريع عقارية سكنية في الجنوب الشرقي من الولايات المتحدة الأميركية واستثمار نحو ١٠ ملايين دولار في مشاريع عقارية في بريطانيا» وبلغ حجم استثماراته في المشاريع الدولية نحو ٨٤ مليون دولار أميركي، واشترك مع سيتي بنك في تمويل مشتريات نفط لصالح شركة البتروكيماويات التايلاندية بقيمة ٦٥ مليون دولار أميركي.

وقال النجار: «إن البنوك الإسلامية استثمرت ودائع المسلمين في بنوك ربوية داخل البلاد العربية وخارجها، وإن معظم ودائع هذه البنوك موجودة في البنوك التقليدية التي تعمل بنظام الفائدة الثابتة» وقد أدى إيداع هذه الأموال إلى ضياع مئات ملايين الدولارات عندما انهار بنك الاعتماد والتجارة الدولي ويذكر أن خسائر بنك فيصل الإسلامي وحده في بنك الاعتماد والتجارة الدولي نحو ٣٨٠ مليون دولار كما أن لكل من بنك قطر الإسلامي، وبنك التضامن الإسلامي، وبيت التمويل الكويتي وودائع كبيرة في البنك المنهار، ويقدر إجمالي خسائر البنوك الإسلامية في بنك الاعتماد بنحو بليون دولار أميركي».

٣ـ الانصراف عن المشروعات الإنتاجية والصناعية إلى المشروعات السياحية والترفيهية:

أعلن المدير العام لبنك قطر الإسلامي الدولي (قاسم محمد قاسم) أن مصرفه قام بتمويل مشروعين ترفيهيين بقيمة ٣٠,٧ مليون دولار. وقام بنك فيصل الإسلامي المصري بتأسيس شركة تحت اسم شركة السلام للاستثمار وذلك بهدف إنشاء فنادق سياحية. وكذلك قام صالح كامل صاحب مجموعة البركة للبنوك الإسلامية بإنشاء أماكن سياحية في جدة وتونس وقام باستثمار أموال في قنوات فضائية تبث بالعربية وغير العربية منها على سبيل المثال أوربت الأولى وأوربت الثانية ويفتخر بأنه يمتلك أرشيفا لكل الأفلام العربية منذ انطلاقها حتى الآن ولا يوجد مثل هذا الأرشيف إلا عنده، حتى إن التلفزيون المصري لا يمتلك بعض هذه الأفلام.

٤ـ المتاجرة بالعملات الأجنبية والذهب والفضة خارج العالم الإسلامي:

تقول الدكتورة كوثر الأبجي الأستاذة في جامعة الإمارات: «هذه التجارة لا تقدم خدمة أو منفعة حقيقية للمجتمع إذ لا تساهم في إنشاء منفعة جديدة اقتصادية أو إنتاجية للبلاد الإسلامية وكان أولى بالبنوك الإسلامية أن تتجه نحو تنمية أموالها في المشروعات الإنتاجية الزراعية والصناعية المفيدة».

٥ـ هذه المصارف تتعاطى الفائدة:

يقول الدكتور أنس مصطفى الزرقا: «هذه المصارف لم تحل مشكلة الفائدة وإيداع الأموال فبعضها يداور موضوع الفائدة مداورة، وبعضها يتقاضى الفائدة ويدفعها للمودعين باسم عمولة، أو باسم ضمان الحد الأدنى من الربح، وبعضها يودع أمواله في الخارج ويتقاضى عنها الفائدة المقررة، ثم يحتفظ بأموال الفائدة لينفقها في وجوه الخير والبر والإحسان».

٦ـ هذه المصارف تتعاطى التأمين:

يقول صالح كامل صاحب مجموعة بنوك البركة الإسلامية: «حسب الفتوى الصادرة من هيئات شرعية فإن التعامل مع التأمين التجاري مباح للضرورة، أما إذا وجد التأمين الإسلامي انتفت هذه الضرورة ووجب التعامل وفق الشريعة. من هذا المفهوم أعتقد أن كل المصارف الإسلامية من دون استثناء مخالفة لهذه الفتوى» قال هذا الكلام ليس من باب الحرص على الحكم الشرعي وإنما لأنه يملك شركات تأمين يدعوها بالتأمين التعاوني.

٧ـ عدم حصول خسائر:

من المعروف أن كل عمل تجاري فيه ربح وفيه خسارة أما هذه المصارف والتي تجاوز عددها التسعين فلم تخسر في عمل تجاري واحد. وقد أشار النجار إلى ذلك بقوله: «إنه لم يحدث مرة واحدة أن أعلن مصرف إسلامي عن وجود خسائر لديه، ما يعني أن فكرة الربح والخسارة غير موجودة عمليا وإن كان منصوصا عليها نظريا، طبعا هذا

باستثناء ما حصل في بنك الاعتماد والتجارة الدولي من إفلاس نجم عنه خسارة بعض المصارف اللاربوية لمئات الملايين من الدولارات، هذه الخسارة لم تحصل نتيجة لأعمال تجارية وإنما لإفلاس المصرف المذكور.

٨- **الرقابة الشرعية**:

يقول الدكتور النجار: إن الرقابة الشرعية لهذه المصارف يمارسها علماء مسلمون، وهذا مكسب لهذه المصارف، إلا أن هؤلاء العلماء لا يفقهون في المسائل الاقتصادية مما أتاح لمديري المصارف اللاربوية فرصة التحايل على الأحكام الشرعية لتحقيق الأرباح. فأصبح هذا مدعاة وذريعة لممارسات خاطئة تسيء إلى الفكر الاقتصادي الإسلامي.

٩- **نقص العناصر البشرية الخبيرة بالأعمال المصرفية اللاربوية أو الملتزمة بالإسلام**.

١٠- **عدم التزام بعض هذه المصارف بما جاء في عقود تأسيسها وتبرير ذلك بأنه ناتج عن ظروف معينة، وأن هذا الخروج مؤقت**.

١١- **ضعف الرقابة بعامة والرقابة الشرعية بخاصة**.

١٢- **إختراع معاملات جديدة ألبست ثوب الشرعية عن طريق التلفيق مثل المرابحة للآمر بالشراء والمشاركة المتناقصة وصكوك المضاربة... الخ**.

البديل المقترح:

قد يتساءل البعض عن البديل لهذا التخبط. والجواب بشكل مختصر هو:

إن هذه المؤسسات المالية هي حجر في صرح اقتصادي تتجاور معه صروح اجتماعية وسياسية وإدارية وإعلامية وعسكرية وتعليمية تتألف منها الدولة المعاصرة، وبناءً على ذلك فإن تحديد حجم هذا الحجر بالنسبة لحجم هذه الصروح يحدد حجم المراهنة التي يعلقها الناس عليها، ويحدد مدى إمكانية التغيير من خلال هذا الحجر. أي أنها تُعدُّ بمثابة جزئية يُراد لها أن تسلك طريقاً إسلامياً في كيان كل جزئياته غير إسلامية، ومحكوم بدساتير وقوانين علمانية رأسمالية، أي أن هذه السمكة الإسلامية (إذا اتفقنا على إسلاميتها) تريد أن تعيش وتنمو وتتكاثر في بحر الرأسمالية الذي يتحكم في الماء والهواء والغذاء المحيط بها وقد يخنقها في أية لحظة يريد، وإذا أفسح لها المجال لتعمل وتنمو فإنما يكون ذلك لأسباب تكاملية اقتصادية وليس لأسباب عقدية أو أيديولوجية تؤدي إلى إزاحة المؤسسات الربوية والحلول محلها. وإذا تجاوزت الخطوط المرسومة يصبح مصيرها كمصير شركات توظيف الأموال في مصر في الثمانينيات.

إن المصرف شيء، والشركة التجارية شيء آخر، فالمصرف تحكمه قوانين المصارف والشركة تحكمها قوانين الشركات، وبناء على ذلك فإن العقود التي تجريها المصارف مع عملائها هي غير العقود التي تجريها الشركات التجارية مع عملائها. أي أن البيع والشراء والمتاجرة يغاير عقد الإقراض والاقتراض والتمويل وفتح الاعتمادات وتأمين الخدمات. فالقضية ليست في التسمية، أو في الألفاظ فقط، بل في الممارسة العملية، ومشكلة المصارف اللاربوية أنها قامت بالجمع بين عمل المصرف وعمل الشركة في مؤسسة واحدة تحكمها قوانين المصارف لا قوانين الشركات، وإضافة إلى ذلك تريد بعد هذا الخطأ أن تراعي عدم مخالفة الأحكام الشرعية الناظمة والمنظمة لتداول المال.

وذلك يشبه القطار الذي يصنع له جناحان لكي يطير بهما في الهواء، فالقطار قطار والطائرة طائرة ومن الخطأ الجمع بينهما.

إن المصارف الربوية تقوم بمهام مالية ذات شقين: الشق الأول هو عبارة عن سلسلة من الخدمات مثل تحويل المال من بلد لآخر، وصرف العملات، وإعطاء الكفالة المصرفية، وتحصيل فواتير الهاتف وغير ذلك من الخدمات مقابل عمولة مالية هي أتعاب هذه المنافع التي تقوم بإنشائها. هذا الشق لا غبار عليه إذا حرصت المصارف اللاربوية على القيام به دون ارتكاب المخالفات الشرعية.

ولكن لماذا لا تكتفي المصارف اللاربوية بتقديم الخدمات المصرفية فقط وتلجأ إلى الأعمال التجارية؟ الجواب هو أن الخدمات لا تدر إيرادات مالية عالية تقنع أصحاب المصارف تلك وتقنع عملاءها من أصحاب الودائع، خاصة وأنها تتنافس مع المصارف الربوية في نسبة الفائدة أو الربح الذي يعود على المودعين، فهي حريصة على إعطاء المودعين لديها نسبة من الربح تعادل معدل الفائدة الذي تمنحه المصارف الربوية لزبائنها حتى تجذب الزبائن المتعاملين مع المصارف الربوية وتحافظ

على زبائنها الساعين إلى معدلات ربح عالية.

ولهذا تقوم المصارف اللاربوية بأعمال المصارف وأعمال الشركات في الوقت نفسه، وتريد أن تبقى إسلامية. فأعمال المصارف الربوية من الشق الثاني هي عبارة عن إقراض بفائدة، واقتراض بفائدة وهذه الأنشطة هي التي تدر الأرباح الطائلة التي تركض وراءها لاهثة المصارف الربوية فتربو الملايين فوق المليارات فيسيل لعاب رجال الأعمال عليها. ولهذا قامت المصارف اللاربوية بمجاراة هذه المصارف فلجأت إلى طرق تدر عليها الملايين كما هو حال المصارف الربوية، فوجدت ضالتها في المضاربة والمشاركة والمرابحة للآمر بالشراء، ولكنها حرفت هذه المعاملات لتتواءم مع العقلية المصرفية التي تريد أن تربح دائماً ولا تخسر أبداً. فبدل المضاربة في التجارة والسلع والصناعة ضاربت هذه المصارف في البورصة وأسواق الذهب والفضة. وبدل المشاركة الشرعية اخترعت المشاركة المتناقصة، وبدل المرابحة التي تحدث عنها الفقهاء وأجازوها اخترعت المصارف اللاربوية ما يسمى المرابحة للآمر بالشراء وهكذا في باقي المعاملات.

والمطلوب من المصارف اللاربوية أن تختار إما أن تكون مصرفاً أو أن تكون تاجراً والفرق شاسع بينهما. فالمصرف له أحكامه والشركة لها أحكامها والخلط بينهما يوقع في الحرام. ولا يُضير أصحاب هذه المصارف أن يمارسوا الخدمات المصرفية مقابل عمولات (أي الشق الأول) من خلال مصارفهم الحالية، ويؤسسوا شركات رديفة تقوم بأعمال المشاركة والمرابحة والمضاربة كما نص عليها الشرع دون زيادة أو نقصان بحيث يطبق عليها أحكام الشركات في الإسلام وتتقبل الربح والخسارة وتستورد بضاعة استيراداً حقيقياً وتمتلك مخازن لها امتلاكاً حقيقياً ولا تكتفي بأعمال تمويل حقيقية وتحسبها على الورق أعمالاً تجارية شرعية يجيزها الإسلام.

ولا يجوز حشر المسلمين دائماً في خيارين لا ثالث لهما، إما مصارف ربوية وإما مصارف لاربوية فلماذا لا يكون أمامنا ثلاثة خيارات أو أربعة أو عشرة؟ وهل عجزت العقليات الإسلامية أن تبدع في صنع الخيارات؟

ومن الخيارات التي ترد إلى الأذهان أن تمارس الخدمات المصرفية في مؤسسات قد تكون حكومية وقد تكون خاصة (قطاع خاص) فيما يشبه الخدمات البريدية، وإذا كانت الحكومات قادرة على تأمينها مجاناً فذلك أفضل، وتفتح فروع لهذه المؤسسات في أغلب الأحياء داخل المدينة الواحدة، في كل المدن والقرى الكبيرة الحجم، وبما أن هذه الخدمات لا تدر أرباحاً عالية فإنها لن تكون مغرية للقطاع الخاص لذلك ستكون الحكومات مجبرة على تأمينها لرعاياها، ويُطلق على هذه المكاتب، مكاتب صيرفة أو أي تسمية تفي بالغرض.

هذا بالنسبة للخدمات أما بالنسبة للأعمال التجارية فتضم إلى ما يشبهها من تجارة وصناعة وبناء فتؤسس شركات لممارسة التجارة والزراعة والبناء وتلتزم بالعقود الجائزة شرعاً ولا يوجد أي اعتراض في هذا المجال لأن ممارسة الأعمال التجارية والصناعية من خلال شركات أو مؤسسات فردية تجوز شرعاً ضمن الضوابط الإسلامية ولا داعي لممارسة هذه الأعمال من قبل مصارف بعقلية المصارف وبقوانين المصارف.

تبقى كلمة أخيرة وهي أن لا نبقى أسرى هواجس التفكير أين نذهب بالمال وكيف نحافظ عليه وكيف ننميه، فالمال وسيلة وليس غاية الغايات، وليست رسالتنا الإسلامية تكديس الثروات وإنما هداية البشر، وأمتنا لا تشكو من قلة المال فالمليارات مكدسة في مصارف الغرب، ولا يليق بنا أن نبكي على اللبن المسكوب بل نسعى لاستعادة اللبن المسروق، والمجد المسروق والكرامة المهدورة والهوية الضائعة. والمطلوب من الأمة الإسلامية أن تكمل مسيرتها في نشر الهداية للبشر وحمل الرسالة سواء وجدت المصارف أم لم توجد، ويستمر الجهاد في ظل المصارف أو في حالة عدمها، ويستمر العمل الجاد لاستئناف الحياة الإسلامية حتى في غياب المليارات، فحينما ربط الصحابة الكرام حجراً على بطونهم وربط سيدنا محمد ﷺ حجرين لم ينتظروا حتى تتدفق عليهم المليارات للسير في طريق الدعوة الشائك ومقارعة أعداء الدعوة، ولم يحملوا هموم تكثير المال لأنه ليس غاية فعرفوا الطريق وعرفوا الهدف وضَحَّوْا في سبيله فسادوا على الأمم وأعز الله بهم الإسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ❑

[انتهى]

خبير ألماني: على الغرب التعامل مع الإسلاميين وإلا سيدفع الثمن عند وصولهم إلى الحكم

□ فيينا – قدس برس –

في محاضرة ألقاها في العاصمة النمساوية ناقش خبير ألماني في شؤون الشرق الأوسط قضية «تهديد الإسلام السياسي لأوروبا بين الاختلاق والواقع» واستعرض مارسيل بوت في أمسية خاصة أقيمت في منزل المستشار النمساوي الراحل برونو كرايسكي أبعاد مسألة الخطر الإسلامي التي حازت في السنوات العشر الأخيرة على اهتمام متزايد، وجاءت المحاضرة التي استضيف فيها بوت الكاتب والإعلامي البارز في ألمانيا والمختص في شؤون الحركات الإسلامية بدعوة من منبر كرايسكي للحوار الدولي بفيينا.

وفي بداية محاضرته اعترف مارسيل بأن صورة الإسلام في أوروبا مثقلة بالنمطيات السلبية والأحكام المبدئية، وترتبط هذه الصورة في أذهان الكثير من الأوروبيين بالنار والسيف، ولكن على العكس من ذلك فإن الإسلام كما المسيحية له العديد من الأوجه، أما الإسلامية فهي حركة سياسية متقدمة اليوم بقوة في العالم العربي والإسلامي، وعلينا في الحقيقة أن نتعامل مع الإسلاميين سواء أعجبونا أم لم يعجبونا.

والإسلام بدوره أكثر من مجرد «الإسلامية»، فهناك الإسلام المتزمت، والإسلام الأصولي، والإسلام الصوفي، وغير ذلك من الأشكال، ويمكن أن يلحظ أن الإسلاميين يمتازون بتوجههم المعادي للغرب إجمالا، كما قال وأضاف بوت يقول: الإسلاميون لديهم أهداف واضحة عبر استراتيجية مزدوجة، وهي استحداث نظام ثيوقراطي من جانب وتحسين الأوضاع الاجتماعية للجمهور من جانب آخر.

ويجدر بنا أن نقر بأن كافة الأنظمة في العالم العربي والإسلامي، من المغرب وحتى اليمن، تعاني من تراجع اقتصادي، وعلاوة على ذلك فلا توجد فيها مطلقا ديمقراطية حقيقية أو صحافة حرة أو حرية رأي أو قضاء مستقل، ومن ينتقد السلطة الحاكمة فعليه أن يقبع في السجن على أقل تقدير.

وأما الإسلاميون فيتقدمون لأن الأوضاع الاجتماعية في تراجع، كما أن كافة القوى السياسية الأخرى كالبعثيين والاشتراكيين قد فشلوا في مشروعاتهم على أرض الواقع لأنهم ارتكبوا أخطاء كبيرة، ولنا أن نتخيل حجم الأعباء الاجتماعية المتزايدة على أقطار المنطقة في ظل التزايد البشري الهائل فيها، فالمشكلة الديمغرافية تحمل معها انعكاسات خطيرة على الأجيال الشابة التي لا تتمتع بأية فرصة حقيقية في المستقبل، ويتساءل بوت: أما لماذا آلت الأوضاع إلى هذا الحد، فلأن الأنظمة الأوليجاركية (طبقة المنتفعين المتنفذين) الحاكمة لا تعنى سوى برفاهها الخاص على نفقة الجمهور والشعوب، وفي الواقع فإن الإسلاميين يحظون بتأييد جماهيري واسع في الجامعات، كما يتمتعون بتعاطف كبير في الأوساط الأكاديمية.

وطرح الخبير البارز تساؤله الأهم في المحاضرة، هل تشكل القوى الإسلامية الصاعدة مصدر تهديد لنا؟ وأجاب يقول: أنا لا أعتقد أن هناك خطرا إسلاميا، فالمسلمون يقاتلون بعضهم البعض في المقام الأول، والنزاعات الداخلية بين دول العالم العربي والإسلامي ماثلة أمام الأنظار، أما الخطر الذي أراه بالفعل فهو أن الغرب إن لم يبادر إلى التعامل مع الإسلاميين بمختلف تياراتهم فسيدفع الثمن حتما عندما يصل الإسلاميون إلى الحكم، وهو الأمر الذي يمكن أن يحدث في أي وقت.

وإذا ما وصل الإسلاميون إلى السلطة فإنهم سينهمكون في البدء في ترتيب بيتهم الداخلي، وهذا ما بدأ به الخميني مثلا عندما شرع في البداية بإعداد نظامه الداخلي، ويلاحظ من النموذج الإيراني أن السياسة الخارجية تأخذ بالميل تدريجيا نحو مزيد من التعاطي مع الآخرين عما كان عليه الحال قبل عشر سنوات، وهذا يحدث بغض النظر عما إذا كسب خاتمي الصراع الثقافي أم لم يكسبه.

وانتقل مارسيل بوت ليركز على معالجة انعكاسات القضية الفلسطينية على العلاقة الحساسة بين أوروبا والعالم الإسلامي، وشرع بالتأكيد بأن قضية فلسطين هي قضية مستوردة إلى منطقة الشرق الأوسط واستطرد يقول: تذكروا أننا كأوروبيين مسؤولون في العام ١٩١٧ عن نشوء المشكلة الفلسطينية إذ صدر وعد وزير خارجية بريطانيا آنذاك جيمس آرثر بلفور، وبموجب ذلك تعهدت حكومة الملك البريطاني بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ولقد دعم الإنجليز من جانبهم الحركة الصهيونية بقوة كما شجعوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين وحسب نظر الفلسطيني والعربي فإن تأسيس دولة إسرائيل هو نتيجة مباشرة للسياسة الاستعمارية البريطانية ولسياسة الهولوكوست الألمانية، وكان تشجيع الإنجليز للهجرة اليهودية إلى فلسطين نابعاً من كونهم أيضاً معادين للسامية وأرادوا من وراء ذلك أن يستخدموا اليهود لتحقيق مصالحهم.

وذهب إلى أن خطورة قضية فلسطين تنبع كذلك من كونها بؤرة محتملة لتصدير الإرهاب إلى أوروبا، والخطر موجود بالفعل، ولكنني لا أرى سيناريو محدداً لتلك الكارثة، ولكنني أوصي بعدم النظر إلى المنطقة العربية والإسلامية بعيون أمريكية فمصالح الأميركان من آسيا الوسطى إلى المغرب ليست هي مصالحنا، فنحن كأوروبيين علينا أن ننظر إلى الأمر وفق اعتباراتنا نحن، كما أن علينا أن نلاحظ أن أميركا تهدف من خلال تواجدها في الخليج إلى الاحتفاظ بأهداف جيو سياسية.

وقال بأن السياسة الأوروبية قد ارتكبت أخطاءً فادحة إزاء المسلمين في القارة والأمر يبدأ بالتدريس الإسلامي فألمانيا مثلاً تبرر عدم سماحها طوال السنوات الماضية بتدريس الدين الإسلامي في المدارس العامة بعدم وجود طرف موحد تستطيع أن تتعامل معه من المسلمين لإقرار أمر كهذا، والنتيجة أن المدارس القرآنية التي تديرها «ملي غوروش» تشكيل إسلامي ناشط في أوروبا يعد امتداداً لحزب الفضيلة التركي، قد كسبت الجيل الثاني إلى جانب نظامها التعليمي، ومن يبشر بكراهية الأعراق ويدعو إلى عدم التسامح بين ظهرانينا فلا متسع له بيننا، ولا بد من تدريس الدين الإسلامي باللغة الألمانية وحدها، وغير ذلك يؤدي إلى إنشاء «غيتو» كما قال ❑

عقـل هاشـــم وصـــفير

ظهر يوم الأحد ٢٠٠٠/٠١/٣٠ نفذت المقاومة الإسلامية (حزب الله) عملية جريئة قضت فيها على أحد أكبر عملاء اليهود هو عقل هاشم. وكانت إسرائيل تعده لتولي قيادة القوات العميلة لإسرائيل في جنوب لبنان بدلاً من أنطوان لحد. وكان وقع العملية صاعقاً على قادة العدو، فقد صرّح باراك بأن مقتل عقل هاشم كان «مؤلماً جداً». واعتبرت الإذاعة الإسرائيلية أن مقتله ضربة معنوية للجيش الإسرائيلي.

ولم تمضِ ٢٤ ساعة على عملية عقل هاشم حتى كانت المقاومة الإسلامية تنفذ عملية جريئة أخرى في العزيَّة حيث هاجمت موقع جنود العدو فقتلت ثلاثة وجرحت أربعة. ولم يمض أسبوع حتى نُفِّذت عملية جريئة ثالثة قرب موقع بلاط قُتِلَ فيها اثنان وجُرح خمسة من جنود العدو.

وعقدت الحكومة الإسرائيلية المصغرة اجتماعاً استثنائياً لترى ماذا تفعل. وقد قامت في ٢٠٠٠/٠٢/٠٨ بضرب محطات كهربائية ومواقع مدنية وأخرى من البنية التحتية في لبنان.

في هذه الأثناء كان البطرك صفير يرسل ممثلاً له، هو المطران مارون صادر، ليشارك في تأبين الخائن المجرم عقل هاشم، وتقديم التعازي للقادة الإسرائيليين الذين يحتلون أرض لبنان ويعتدون يومياً على أهله بالقتل والتدمير! هل كان هذا التصرف من البطرك عملية استفزاز عن سابق تصوّر وتفكير، أو كان هفوة صادرة عن عاطفة دون تفكير من قبيل (الطبع غلب التطبُّع)؟ وسواء كان هذا الأمر أو ذاك فإن هذا التصرف كان مستهجناً صدوره من البطرك، وهو أساء به كثيراً إلى نفسه وإلى المقام الذي يحتله ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

التحـدي بالقـرآن

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٢٤) وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (٢٥)﴾ [البقرة].

في هذه الآيات أمر الله ـ جل ثناؤه ـ الناس أن يعبدوه وحده لعلهم بهذه العبادة يكونون من المتقين الذين يرضى الله عنهم، (لعل) وإن كانت للترجي ولكنها من الله سبحانه تجري مجرى الوعد المحتوم وفاؤه.

ثم بين الله سبحانه لعباده أنه الخالق لهم وللذين من قبلهم، وهو سبحانه الذي خلق الأرض والسماء فجعل الأرض مهادا يستقرون عليها، وجعل السماء سقفا، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء، ولذلك قيل لسقف البيت سماؤه. ثم يذكر الله سبحانه عباده بأنه الرازق لهم فهو الذي ينزل المطر من السماء فيخرج به الزرع والفرس من كل الثمرات، فكيف يجعلون مع الرازق عدلاء وأمثالا يعبدونهم من دون الله وهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون في الوقت الذي لو أعملوا فكرهم بذلك لعلموا أن الله هو المعبود وحده سبحانه لا ند ولا شريك له.

ثم إن الله سبحانه لإقامة الحجة عليهم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثل سور هذا القرآن ثم أعلمهم زيادة في التحدي أنهم لن يأتوا بمثله مهما دعوا من شهداء يساعدونهم من دون الله.

ومن الجدير ذكره أن الله سبحانه قد كان تحداهم في مكة أن يأتوا بسورة فعجزوا وذلك في سورة يونس ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ يونس/آية٣٨ وهنا في البقرة وبعد الهجرة يؤكد الله سبحانه هذا التحدي مرة أخرى، لذلك جاءت الآية الكريمة في البقرة ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ باستعمال (من) قبل مثله والتي تفيد هنا التوكيد لأن (من) زائدة للتوكيد[1]. ولأن آية البقرة تأكيد للتحدي السابق في سورة "يونس" لذلك جاءت الآية اللاحقة حاسمة في عجزهم الأبدي عن الإتيان بسورة مثله ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ لإقامة الحجة القاطعة على أن هذا القرآن العظيم كلام الله سبحانه لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد.

بعد ذلك بيّن الله سبحانه في آخر الآيات أنه أعدّ نارا عظيمة للكافرين وجنات للمؤمنين تجري من تحتها الأنهار، تحوي رزقاً من كلّ ما يشتهون من الثمار متشابه في الجودة والحسن والطيب ليس فيها مرذول، ولهم كذلك أزواج مطهرة من كلّ إثم وأذى.

ثم يذكر الله سبحانه تفضله على عباده المؤمنين الصادقين بتخليدهم في الجنات في نعيم مقيم وخير عميم.

وهنا لا بدّ من وقفة عند إرسال الله للرسل ومعجزاتهم فنقول:

١. إن الله سبحانه قد خلق الخلق لحكمة وهي عبادته ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات/ آية ٥٦.

٢. أرسل الله رسلاً ليبينوا للناس كيف يعبدونه ـ جلّ ثناؤه ـ واقتضت رحمة الله أن لا يعذب حتى يرسل رسولاً يبلغ عن الله سبحانه ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ الإسراء/ آية ١٥ ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ النساء/ آية ١٦٤.

٣. أرسل الله سبحانه رسله للناس بمعجزات تحداهم بها لتثبت للمرسَل إليهم بالحجة القاطعة أن صاحب المعجزة المرسل هو رسول من عند الله.

وقد اقتضت حكمة الله أن تكون المعجزة المتحدى بها والمرسلة مع الرسل لأقوامهم هي في أعظم شيء عندهم زيادة في التحدي وقوة في الإعجاز.

٤. كان للسحر في عهد موسى ـ عليه السلام ـ شأن عظيم عند فرعون الطاغية وآله فكانت معجزة موسى تشبه السحر ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ۞ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ [الأعراف/ آية ١٠٧ـ١٠٨] فظن فرعون أن الأمر سهل لعظمة السحر عنده، فجمع السحرة لإبطال معجزة موسى ـ عليه السلام ـ ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ۞ يأتوك بكلّ ساحر عليم ۞ وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ۞ قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ [الأعراف/ آية ١١١ ـ ١١٤] ولقد التقى موسى ـ عليه السلام ـ السحرة في يوم عيد على ملأ من الناس فأبطل الله السحر وأظهر معجزة نبيه ﴿قال ألقوا فلما ألقَوْا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ۞ وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ [الأعراف/ آية ١١٦ـ١١٧] عندها أدرك السحرة أن موسى ـ عليه السلام ـ رسول من عند الله حقا وأن ما جاء به ليس سحراً، فآمنوا بالله رب العالمين وكان إيمانهم عجباً، فبعد أن اشترطوا على فرعون أجراً إن كانوا هم الغالبين تراهم الآن ينسون الدنيا ويتحدون فرعون الطاغية وهو يهددهم بالقتل والصلب دون أن تضعف لهم عزيمة أو تلين لهم قناة ﴿لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ۞ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ۞ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف/ آية ١٢٤ ـ ١٢٦]. ﴿فاقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ طه/ آية ٧٢.

٥. وفي عهد عيسى ـ عليه السلام ـ كان للطب شأن عظيم وكان قد استعصى على الأطباء إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فجاءت معجزة عيسى ـ عليه السلام ـ قوية واضحة التحدي في أعظم علم عندهم ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله﴾ آل عمران/ آية ٤٩. ولما حاولوا قتله شبه لهم ولم يمكنهم الله من قتله أو صلبه بل رفعه الله إليه ونجاه من شرهم ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ۞ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾ النساء/ آية ١٥٧ـ١٥٨.

ولقد كان إيمان أصحابه ـ عليه السلام ـ عجباً كذلك "قل كونوا كأصحاب عيسى نشروا بالمناشير وحمّلوا على الخشب فوالذي نفسي بيده لموتة في سبيل الله خير من حياة في معصيته"(٢).

٦. وفي عهد رسول الله ﷺ كانت صناعة العرب هي الفصاحة والبيان يعقدون لها أسواقاً يتنافسون فيها في أعذب الكلام وأبلغه، فكانت معجزة محمّد ﷺ أن أنزل الله عليه قرآناً يتلى عليهم من جنس كلامهم، وتحداهم أن يأتوا بمثله فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. تحداهم أولاً أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الإسراء/ آية٨٨. ثم بعشر سور من مثله ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ هود/ آية١٣. ثم بسورة من مثله ﴿أم يقولون افتراه فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ يونس/ آية٣٨.

فلم يأتوا بمثله وهم بأشدّ الحاجة لإبطال دعوة رسول الله ﷺ لو كانوا يستطيعون. وهذا التحدي والإعجاز قد تمّ في وقت كان العرب أقحاداً يدركون معنى التحدي والإعجاز، فعندما لم يستطيعوا علموا أنه من عند الله فكان إيمانهم كذلك عجباً لا يخشون في الله لومة لائم، يستشهدون وهم صابرون كأنهم يرون قصورهم في الجنة رأي العين إيمانا بالله ورسوله "صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة"(٣). وذاك لا يجري على لسانه إلا أحد أحد، وهو يعذب بشدة في سبيل الله، وآخر تقطع منه أجزاء من لحمه وهو حي وهو ثابت كالجبال الراسيات يساومونه على تركه مقابل أن يتمنى مجرد أمنية أن يكون رسول الله ﷺ مكانه يعذب وهو سالم في أهله، فيقول ـ رضوان الله عليه ـ: "والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي. قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحبّ أصحاب محمّد محمدا. ثمّ قتلوه فاستشهد يرحمه الله"(٤). فأعزهم الله بدينه ونصرهم بنصره ففازوا في الدارين ونعم أجر العاملين.

٧. كانت تلك المعجزات للرسل دليلا قاطعا على صدق نبوتهم، غير أن معجزات الأنبياء السابقين كانت مؤقتة فلا تستمر بعد انقضاء رسالتهم في قومهم، أما معجزة رسول الله ﷺ فهي باقية خالدة تتحدى الناس أجمعين في كلّ زمان ومكان، فرسالة الإسلام خاتمة الرسالات وللناس كافة إلى يوم الدين، ورسالات الأنبياء السابقين خاصة لأقوامهم "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي: كان كلّ نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كلّ أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد من قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً أو مسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة"(٥) ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء/ آية١٠٧ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ سبأ/ آية٢٨. فهذا القرآن العظيم هو معجزة رسول الله ﷺ وهو كلام الله سبحانه ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ آل عمران/ آية١٣٨ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾ الإسراء/ آية ٩ ❑

الهوامش:

(١) لا يوجد في القرآن تكرار أو زيادة لغير معنى، ولذلك فكلّ ما ورد في القرآن وكأنه تكرار أو زيادة هو في الحقيقة لزيادة معنى مثل (من) هنا فقد أفادت زيادة معنى وهو التوكيد أي توكيد التحدي السابق.

(٢) المعجم الصغير: ٧٤٩، المعجم الكبير: ٩/٢٠، مسند الشاميين: ٦٥٨.

(٣) المستدرك: ٣٨٣/٣، المطالب العالية: ٤٠٣٤، الحلية: ١٤٠/١.

(٤) سيرة ابن هشام: ١٨١/٣.

(٥) البخاري: ٣٢٣، مسلم: ٨١٠.

المحرقة ومجازر اليهود

لقد جعل اليهود من يوم ٢٧ كانون الثاني (يناير) ذكرى سنوية لما يسمونه «المحرقة» أو «الهولوكوست» ليذكروا العالم باليهود الذين قتلهم هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية وليدرّسوا ذلك لأبنائهم جيلاً بعد جيل. وهم يزعمون أن هتلر قتل منهم ستة ملايين. مع أن كثيراً من الباحثين والمؤرخين يكذّبون هذا الرقم ويقولون بأن ما حصل هو أقل من عشر هذا العدد. ولكن اليهود يبالغون للمطالبة بتعويضات مالية كبيرة من ألمانيا، وليُشْعِروا الأوروبيين بعقدة الذنب تجاه اليهود كي يعوّض الأوروبيون على اليهود، هذه الأيام، دعماً مادياً وسياسياً وعطفاً إنسانياً على حساب أهل فلسطين والعرب.

لم تكد تمضي أربع سنوات على «المحرقة» المزعومة حتى كان اليهود إياهم يقومون بمجازر في فلسطين أكثر وحشية من المحرقة المزعومة. فقد كشف المؤرخ الإسرائيلي تيدي كاتس في ٢٠٠٠/٠١/١٩ في رسالة ماجستير قدمها لجامعة حيفا، كشف بأدلة موثقة عن أن قوات «لواء اسكندروني» الإسرائيلي ذبحت ٢٠٠ فلسطيني في قرية طنطورة (٢٨ كلم جنوب حيفا) في ١٩٤٨/٥/١٥ أي فور إعلان دولة إسرائيل. وقد دفنوا الجثث في مقبرة جماعية، وأخفوْها بإنشاء موقف سيارات فوقها، وأنشأوا بجانبها «منتجع دور».

ونقلت وكالة (أ ف ب) في ٢٠٠٠/٠٢/٠١: «هناك نحو ٣٠ مذبحة ارتكبها الإسرائيليون الذين دمّروا أيضاً ٨٥ بالمائة من القرى والبلدات العربية» وتضيف الوكالة: «لقد نفذت إسرائيل عند قيامها تطهيراً عرقياً لم يسبق له نظير في القرن العشرين».

وتحقق ألمانيا الآن مع يهوديين قاما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بتسميم الخبز الذي يقدّم إلى أكثر من ٢٠٠٠ سجين ألماني. وكان هذان اليهوديان أسسا في دينهما جماعة سمياها جماعة الثأر. يقول أحدهما (جوزف هامارتز، ٧٤ عاماً) بأن خطتهم الأولى كانت تسميم مياه (نورمبورغ)، وقد صودر السم منهم. أما خطتهم الثانية فكانت الهجوم بالأسلحة الآلية على المحكمة لقتل جميع من فيها (ألمان)، لكن تراجعوا عنها لأن المحكمة كانت تحت حراسة أميركية مشددة. وأما الخطة الثالثة التي تم تنفيذها فكانت نقل السم من فرنسا إلى ألمانيا، واستطاعوا دخول أحد المخابز التي تزوّد المعتقلين الألمان وسمموا أكثر من ثلاثة آلاف رغيف ❑

جارودي والصهيونية

مكتب المفكر المسلم روجيه جارودي وزع رسالة على بعض الجهات، من بينها كُتّاب مسلمون، يطلب إعانتهم على كسر طوق الحصار الذي تعمل الصهيونية لفرضه عليه وعلى أفكاره. ومما جاء في رسالته:

أخي في الإسلام/ تحية ... وبعد:

أرجو المعذرة إذ أنقل إليكم اليوم هذا الكتاب الملحّ والمستعجل مفتتحه باسم الله الذي نعمل جميعاً في سبيله. تعلمون كم عانيت من إعلان إسلامي وأخذ الدفاع عن قضايا الإسلام والعروبة على عاتقي، خاصة إثر العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢... منذ ذلك الحين والحركة الصهيونية في فرنسا وعبر العالم، تضع كل طاقاتها وإمكاناتها لشل حركتي ومنعي من نشر أفكاري عبر الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون، لدرجة أنها أوعزت لدور النشر الفرنسية بعدم نشر كتبي.

وبعد نشر كتابي: (الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية) الذي ترجم إلى أكثر من ٣٠ لغة ـ متنازلاً عن كافة حقوقي كمؤلف ـ أقاموا ضدي الدعاوي... حتى استطاعوا أن يستصدروا علي حكماً بالسجن لمدة تسعة أشهر وأن يغرموني مبلغ ... (ما يزيد عن ٦٠ ألف دولار غير أتعاب المحامين) ❑

إقليم أتشيه والكومنولث

حسن تيرو زعيم (حركة أتشيه الحرة) التي تطالب بانفصال إقليم أتشيه عن إندونيسيا وصفَ إندونيسيا (أ ف ب ورويترز في ٢٠٠٠/٠٢/٠١) بـ «دولة القتلة المحترفين»، وأشار إلى أن بريطانيا كانت تعتبر أتشيه دولة مستقلة. وقال: «ما نريده هو الفوز بمكان في الكومنولث». وأوضح أن أستراليا من الممكن أن تلعب دوراً في دعم انضمام أتشيه إلى الكومنولث، وطالب الغرب بمساعدة أتشيه في ذلك.

فهل هذا يشير إلى أن أصابع الإنجليز هي التي تسعى إلى فصل أتشيه وإلى تجزئة إندونيسيا. وكان الرئيس الإندونيسي عبد الرحمن وحيد، أول وصوله للرئاسة، وعد أتشيه بإجراء استفتاء فيها، ثم تراجع عن ذلك ❑

الرئيس الإندونيسي والجيش

نشرت الوكالات في ٢٠٠٠/٠٢/٠١ أن رئيس إندونيسيا عبد الرحمن وحيد قرر تجريد الجنرال ويرانتو الرئيس السابق لأركان الجيش الإندونيسي من مناصبه كافة بعد ما حمّلته لجنة تحقيق محلية مسؤولية أعمال العنف في تيمور الشرقية. وكانت لجنة دولية قد حمّلت الجيش الإندونيسي مسؤولية العنف في تيمور الشرقية. والجنرال ويرانتو يشغل حالياً منصب وزير الأمن والشؤون السياسية، وقد حمّل تقريرٌ اللجنة المحلية المسؤولية لـ ٢٤ شخصاً بالإضافة إلى ويرانتو، وأرفق بلائحة تضم أكثر من مائة اسم متورطين في أعمال العنف تلك.

ولكن ويرانتو أعلن أنه لن يستقيل. وصدرت انتقادات داخل إندونيسيا للأسلوب الذي استعمله عبد الرحمن وحيد مع ويرانتو.

وفي ٢٠٠٠/٠٢/٠٣ وجه الرئيس الإندونيسي وحيد، أثناء وجوده في هولندا، تحذيراً إلى الجنرالات في بلاده من مغبة القيام بانقلاب عسكري أثناء غيابه، وأشار إلى «لقاء» ضم العديد منهم في ٢٠٠٠/٠٢/٠٢ في جاكرتا.

فإلى أين تتجه إندونيسيا؟ ❑

روسيا والشيشان

نقلت الأخبار أن المقاتلين الشيشان انسحب القسم الأكبر منهم من غروزني. وقد دبّ الملع في نفوس الروس، إذ إن المعركة التي كانت محصورة في غروزني ستنتقل الآن إلى حرب عصابات، وستنتشر في أنحاء مختلفة من روسيا، ولن تبقى محصورة في الشيشان. وقد بدأت الحكومة الروسية توجد مبررات لفشلها في الشيشان بإلقاء التبعات على دول عربية (لم تسمّها) وعلى دول مجاورة، فقد أكد الناطق باسم وزارة الأمن الفيدرالية الجنرال الكسندر زادانوفتش أن الوزارة تحقق في معلومات عن ضخ ١,٥ بليون دولار جُمعت من بلدان عربية، وهي تُستخدَم لـ «زعزعة الأوضاع (في روسيا)». وكانت روسيا اتهمت كازاخستان وأوكرانيا بتسهيل عبور المقاتلين إلى الشيشان ❑

(حزب الله) ! التركي

أعلنت السلطات التركية في ٢٠٠٠/٠١/١٧ عن اكتشاف حزب يسمّى «حزب الله» ارتكب جرائم قتل كثيرة وطمر الجثث في البيوت والحدائق. وصار المسؤولون يهاجمون الإسلام والمسلمين، ويقولون بأن كل من يُدخل الدين في السياسة يقوم بمثل هذه الجرائم. ولكن الوقائع كشفت أن السلطات التركية هي التي أنشأت هذا الحزب من منتصف الثمانينيات. ومن ذلك ما ذكره رئيس هيئة التحقيق في حادثة الصوصورلوك لجريدة «العقد» التركية الصادرة في ٢٠٠٠/٠١/٢١، قال: «إن حزب الله منظمة أسستها الدولة وغذتها وكبرتها واستخدمتها ضد حزب العمال الكردستاني، والآن لأن وظيفتها انتهت تسعى للتخلص منها، واتخذت الإسلام هدفاً في التحقير والتقليل من قيمته، فالدولة الخفية تعتمد سياسة كسر الكلب بالكلب، فقد استخدمت هذا الأسلوب ضد حزب العمال الكردستاني. لقد انتهت وظيفة هذه المنظمة وهي تباد الآن، فقُتِلَ رأسها في إسطانبول، وخلال هذه العملية يتهجمون على الإسلام ويظهرونه على أنه خطر وأن المسلمين غدارون، وما زالت هذه الدعاية تبث مباشرة في المجتمع». وقال أيضاً: «لقد قال أحد المعترفين من حزب الله أن حزب الله أسسه حسين ولي أوغلو مع جيم إرسيفير مؤسس الاستخبارات العسكرية لقوات المشاة» ❑

أميركا والناقلة الروسية

ناقلة النفط الروسية «فولفو نفط ١٤٧» كانت ترسو في ميناء الفجيرة الإماراتي. فصدر طلب أميركي إلى الإمارات كي تخرج الناقلة من مياهها الإقليمية، فأبعدوها إلى مسافة ١٣ ميلاً، أي إلى المياه الدولية. فقامت سفينة أميركية في ٢٠٠٠/٠٢/٠١ باحتجازها بحجة أنها تهرب نفطاً عراقياً. ويقول الروس بأن حمولة الناقلة هي مازوت إيراني. ولكن الأميركيين أخذوا عينات من المازوت لتحليلها ومعرفة مصدرها، وقرروا إبقاء الناقلة في الحجز حتى تصدر نتيجة التحليل بعد أسبوع من الاحتجاز.

وأحرج موقف روسيا وشعرت بالإهانة والإذلال، واحتجت بشدة، ولكن دون جدوى. ودخل التجاذب الروسي – الأميركي منعطفاً مفاجئاً إذ نقلت وكالة الإعلام الروسية عن مسؤول عسكري رفيع المستوى قوله إن موسكو سترسل سفينة استطلاع إلى البحر المتوسط الأسبوع المقبل، مشيراً إلى معلومات لدى الجيش الروسي تفيد بأن حلف الأطلسي يستعد لشن هجوم على العراق ❑

فرنسا أم الحريات !

نشرت وكالة (أف ب) في ٢٠٠٠/٠١/٠٤ ما يلي:

أضرب المدرسون في مدرسة «ليولارغيي» في لاغران كومب الثانوية في جنوب فرنسا أمس عن العمل احتجاجاً على قبول انتساب شقيقتين محجبتين.

ومنذ بدء العام الدراسي مطلع أيلول الماضي، أمضت رومينا وديانا (١٢ و١٣ عاماً) المولودتان من أب وأم يحملان الجنسية الفرنسية، أوقات الدراسة في صالة تكتبان فيها فروضهما بعد ما رفض المدرسون حضورهما الحصص الدراسية.

وكانت والدة الفتاتين المنفصلة عن زوجها أشهرت إسلامها أخيراً ورفضت أن تخلع ابنتاها الحجاب أثناء الحصص الدراسية، وتقدمت في أيلول بطعن أمام المحكمة الإدارية لـ «عدم التطابق مع الموجبات المدرسية».

وفي عام ١٩٩٩ حرمت الفتاتان من حضور الحصص الدراسية وبادر الأساتذة بدعم من أهالي الطلاب الباقين، إلى تنفيذ إضراب من أجل «الدفاع عن القيم العلمانية».

وحرمت طالبتان مسلمتان أخريان من التوجه إلى مدرسة في منطقة النورماندي وهما تتابعان منذ ذلك الوقت دروساً بالمراسلة.

ويذكر أن مجلس شورى الدولة الذي يعتبر أعلى هيئة قضائية فرنسية قرر في تشرين الأول الماضي، أن لا مجال للتذرع بحجج دينية لتبرير ارتداء الفتيات الحجاب ❑

تنظيم يلد تنظيما

نشرت جريدة «المستقبل» البيروتية في ٢٠٠٠/٠١/٠٥ ما يلي:

تبدو الأحداث التي شهدها شمال لبنان أخيراً مشابهة لدرجة مثيرة لقصة بدء تنظيمات العنف الأصولية نشاطها في مصر قبل ربع قرن. ففترة أوائل الثمانينيات شهدت محاولة لاغتيال السادات نفذها تنظيم متشدد تبين لاحقاً أنه أحد فروع «حزب التحرير الإسلامي». وقد عُرفت هذه العملية في الأدبيات المصرية باسم حادثة «الكلية الفنية العسكرية».

وتوالت بعدها حوادث العنف من ظهور تنظيم «التكفير والهجرة» الذي اختطف وزير الأوقاف الشيخ الذهبي وقتله بدم بارد وصولاً إلى اغتيال الرئيس السادات نفسه.

ولم تنجح الجهود الأمنية في القضاء على هذه الجماعات أو حتى في وقف مسلسل العنف، إذ كانت الأمور تهدأ لسنوات ثم تعود للاشتعال مجدداً. تنظيم يلد تنظيماً وجماعة تفقس أخرى، فيما «الاستئصال» لا يمكن تنفيذه في بلد يملك تقاليد قانونية ودستورية فضلاً عن أنه غير عملي.. يكفي أن يفلت عنصر واحد من قبضة الأمن وينتقل للإقامة في منطقة فقيرة تفتقد الخدمات والمرافق، ليفاجأ الجميع بظهور تنظيم يتكاثر ويتمدد بسرعة سرطانية وسط المهمشين على أطراف مدن الترف.

أما السجن فقد تحول مكاناً لتدريب العناصر وتثقيفها ووضع بذرة التنظيمات الجديدة.

واكتشف المسؤولون الأمنيون في مصر أن تنظيمات العنف لا تنتهي بالمواجهة الأمنية، فكان القرار بالتحول إلى مواجهة سياسية شاملة، والانتقال من أسلوب العمليات الأمنية إلى أفكار الاختراق والتدمير من الداخل وبث الخلاف وإلقاء بذور الانشقاقات ❑

موقوفو الضنية

نشرت جريدة «الحياة» في ٢٠٠٠/٠٢/٠٣ نقلاً عن مصدر أمني رفيع المستوى أن «التحقيقات مع الموقوفين في حوادث الضنية (١٧ موقوفاً، وهي الحوادث التي جرت في شمال لبنان مع مطلع هذا العام) لم تصل بعد إلى معلومات دقيقة عن هوية المجموعات المتطرفة التي كانوا ينضوون تحت لوائها، أو صلاتها الخارجية، بوضوح». وزاد المصدر أن «لا اسم للتنظيم الذي تشكلت منه هذه المجموعات، لكن الأرجح أنه كان تنظيماً في طور البناء» ❑

أموال أميركية لصحف إيرانية

نشرت الصحف والوكالات في ٢٠٠٠/٠١/٣١ اتهامات أطلقها رجل الدين البارز محمد تقي مصباح يزدي في شأن تلقي بعض الصحف «الإصلاحية» أموالا من الرئيس السابق للاستخبارات الأميركية (CIA). وكان مصباح يزدي أكّد أن الأخير يزور طهران متنكراً بشخصية سائح، ويلتقي رؤساء تحرير بعض الصحف «الإصلاحية» ومسؤوليها، ويقدم لهم مبالغ كبيرة من الدولارات. وبدأت هذه الصحف «الإصلاحية» بمهاجمة يزدي، ونشرت له صوراً كاريكاتورية مهينة، ما دفع عدداً من العلماء والطلبة في قم ثم في طهران إلى التظاهر ضد وزير الثقافة عطاء الله مهاجراني الذي يسمح لهذه الصحف بإهانة العلماء، مطالبين بإقالته من الوزارة ❑

إسرائيل والبحرين

حصل اجتماع مطوّل في دافوس في ٢٠٠٠/٠١/٢٩ بين ولي عهد البحرين سلمان بن حمد آل خليفة وشمعون بيريز الوزير الإسرائيلي. وكانت حصلت قبل ذلك بيوم ندوة في دافوس شاركت فيها تسع دول عربية مع إسرائيل.

وهكذا نرى أن اجتماعات (باراك ـ الشرع) استغلها الممرولون ليعلنوا أن آخر العقبات قد زالت من طريق التطبيع مع إسرائيل. فقد قال ولي عهد البحرين في مقابلة نشرتها «الحياة» في ٢٠٠٠/٠٢/٠١: «فما رأيناه من رئيس الوزراء الإسرائيلي (باراك) هو أنه اتخذ الخطوة الأولى، وهذا دوره الصحيح». وأضاف: «نحن مقدمون على السلام... إذا أقدموا خطوة فسنسير نحن خطوتين». وقد عبّر عن إعجابه ببيريز: «هو وزير لديه صلاحية فتح العلاقات، وهو كان يتكلم عن النظرة البعيدة وعلى المدى البعيد... معبّراً عن اهتمامه بالتربية والتعليم». ووصفت الحياة اللقاء في ٢٠٠٠/٠١/٣٠ بقولها: «وأكدت مصادر الوفد البحريني أن اللقاء الذي أعد له مسبقاً لم يكن سياسياً بمقدار ما اقتصر على بحث أوجه التعاون الإقليمي في مجال التربية والتعليم».

«**الوعي**»: ماذا يرجو بلد مسلم مثل البحرين من اليهود في مجال التربية والتعليم غير الطلب بأن يحذفوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة من مناهج التعليم ومن وسائل الإعلام، تلك الآيات والأحاديث والحوادث التاريخية التي تكشف حقيقة اليهود للمسلمين، من مثل قوله تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود...﴾ وقوله تعالى: ﴿إن تصبكم حسنة تَسُؤْهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ ❑

الحكومة الأردنية تضلل البرلمان

كتبت جريدة «الحياة» في ٢٠٠٠/٠١/٢٦ ما يلي:

وجهت اللجنة المالية في مجلس الأعيان الأردني أمس اتهامات للحكومة بتضليل البرلمان والرأي العام من خلال التلاعب بأرقام الموازنة العامة للدولة في ما يخص الإيرادات المحلية وأرقام ونسب العجز والنمو الاقتصادي، في ما اعتبر سابقة في تاريخ العلاقة بين الحكومة والمجلس الذي يعينه الملك.

وجاء في تقرير اللجنة أنها «تأسف أن تجد نفسها عاجزة عن إجراء أي تقويم إضافي للأداء المالي للعام ١٩٩٩، علماً أنه كان حتماً أداءً سلبياً وفقاً للمؤشرات المتوافرة لدى اللجنة». وجاء فيه أيضاً أنه «من المؤسف أن الأداء في إدارة المالية العامة للعام ١٩٩٩ عاد ليظهر استمرار الخلل الهيكلي الخطير الذي يعاني منه الأردن، وهو عجز الإيرادات المحلية عن تغطية النفقات الجارية، مما يعني أن الحكومة تجد نفسها مضطرة للبحث عن المنح والمساعدات والقروض ليس فقط لتغطية النفقات الرأسمالية، بل لتغطية هذا العجز أيضاً» ❑

يحذّر من انقلاب عسكري

الصادق المهدي رئيس حزب الأمة السوداني اجتمع في القاهرة بمساعد وزير الخارجية البريطاني في ٢٠٠٠/٠١/٣٠، ثم عقد اجتماعاً للمكتب التنفيذي للحزب في القاهرة، وأصدر بياناً نشرته الصحف حذر فيه من «فرض حلول خارجية من فوق رؤوس السودانيين، وخطر الشمولية بكل أشكالها، وخطر تبعات المواجهة المحتملة بين أطراف النظام، وخطر قيام انقلاب عسكري هو المرفوض تماماً مهما كانت المبررات والذرائع لأنه يعيد الأزمة إلى مربعها الأول».

مع العلم أن مساعد وزير الخارجية البريطاني مدير إدارة الشرق وشمال إفريقيا ديرك بلمبلي زار الخرطوم وأجرى محادثات مع عدد من المسؤولين السودانيين ثم انتقل إلى القاهرة حيث أطلع المهدي على انطباعاته.

«**الوعي**»: المفروض أن الانقلاب الذي يشير إليه المهدي ليس لمصلحة الإنجليز وإلا لما كان نبّه إليه وحذر منه ❑

«المؤتمر» و«الإصلاح» في اليمن

يبدو أن الخلاف بين حزب «المؤتمر» الحاكم وحزب «الإصلاح» هو حقيقي. ولكن أساس الخلاف ليس عميقاً. ونتوقع أن يعود الحزبان للاتفاق. ذلك أن الحكومة تتهم أفراداً في شركة «المنقذ» بخطف شخص أميركي، وتقول بأن شركة «المنقذ» تابعة لحزب «الإصلاح». و«الإصلاح» ينفي أن تكون الشركة له وينفي أن يكون له دور في الخطف. وأكد محمد قحطان رئيس الدائرة السياسية في «الإصلاح» في ٢٠٠٠/٠٢/٠٢ أن اتهامات الحكومة لحزبه هي «محاولة لتغطية عجزها وفشلها في مسؤولية حفظ الأمن والاستقرار في البلد». وقال بأن بعض الذين نفذوا عمليات الخطف في السنوات الماضية «ينتمون إلى الجيش وكانوا ضباطاً، وبعضهم كوفئ بمناصب أمنية ورتب عسكرية وأموال، حتى فتحت السلطة شهية الآخرين لارتكاب مثل هذه الجرائم» ❑

سياسة تضليل العمل الإسلامي (٢)

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بعض أساليب التضليل التي اتخذها الكفار في عهد النبي عليه السلام، وبعد وفاته مرورا بالخلافة الراشدة حتى عهد الخلافة العثمانية آخر أيامها.

وسنتحدث في هذا الحلقة أن شاء الله عن حرب التضليل التي يتبعها الكفار هذه الأيام ضد حملة الدعوة لصرفهم عن هدفهم وغايتهم.

وقبل أن أبدأ في عرض أهم هذه الأساليب أنوه فأقول: إن خطر الحرب المادية ضد حملة الدعوة بشتى أصنافها من اعتقال، وتعذيب، وتشريد، وقهر، وحرمان من وظائف وغير ذلك، تعتبر أقل خطرا من أساليب التضليل إذا قورنت بها. وذلك أن أساليب الحرب المادية ضد حملة الدعوة، وثبات حملة الدعوة برغمها تزيد الأمة قناعة بهم وبأفكارهم، ويزداد تعاطفها تجاههم وخاصة أن فكرتهم هي من صلب عقيدتها.

وهذا ما حدث مع الرسول عليه السلام وصحابته في مكة. فعندما قاطعتهم قريش وآذتهم وعذبتهم، وصبروا على ذلك وثبتوا أحدث ذلك أثرا في بعض الشخصيات والتي آمنت بعد ذلك، وأحدثت كذلك أثرا في رفع المقاطعة وتخفيف العذاب عنهم.

أما خطر التضليل ـ إذا لم تتنبه الأمة له ـ فإنه يحدث شرخا بين الأمة ودينها، وبين الأمة ومن يتبنون مصالحها من حملة الدعوة.

أما الأساليب التي يتبعها الكفار بشتى مللهم هذه الأيام ضد أبناء العمل للإسلام فإنها عديدة ومتنوعة نقف عند بعضها:ـ

❖ مسألة الدولة الإسلامية:

وقد اتبع الغرب أو الكفار بشكل عام أساليب عدة لتضليل المسلمين عن هذه الحقيقة الراسخة. وعن فكرة العمل لاستئنافها في أرض الواقع. من هذه الأساليب إنشاء أو تشجيع تجمعات إسلامية تدعو إلى الأخلاق، أو العبادات أو تهتم بجانب العقيدة وتنقيحها دون الأحكام، أو تهتم بطباعة الكتب وتحقيقها كل ذلك عن طريق عملائهم من حكام المسلمين بهدف ترسيخ فكرة فصل الدين عن الحياة، وتضليل المسلمين عن الهدف الأسمى، والمشكلة الكبرى التي سببت لهم كل الآلام وهي غياب "دولة الإسلام". فتقوم هذه الدول برعاية هذه التجمعات، وفتح المراكز لها داخل البلاد، ودعمها ماديا ومعنويا وإعلاميا، وفتح المجال لها خارج البلاد العربية أو الإسلامية، لتتابع حركة التضليل ضد أبناء المسلمين خارج البلاد. ولا يخفى على مسلم ما تقوم به بعض الحكومات من تقديم ملايين الدولارات لخدمة هذه الأعمال عن طريق إنشاء المراكز والتجمعات الإسلامية داخل البلاد وخارجها، وهم في نفس الوقت يحاربون أبناء العمل المخلص لإعادة الحكم بما أنزل الله حربا لا هوادة فيها ولا رحمة، فهل هؤلاء هدفهم خدمة الإسلام أم القضاء عليه عن طريق هذا التضليل الماكر؟!!

والأسلوب الثاني في حرب فكرة الدولة الإسلامية يتمثل في كتاب لا يتقون الله، يقولون بأن فكرة الدولة الإسلامية كانت في فترة زمنية معينة وانتهت بانتهائها، وهي ليست من أحكام الإسلام وإنما هي أسلوب يجوز تعدده، ويجوز تجديده حسب مقتضيات العصر، كما يجوز أخذه من أنظمة أخرى مثل النظام الجمهوري، ومن هؤلاء الزحيلي، والقرضاوي وغيرهما.

وكذلك توجه أجهزة الدول من المخابرات حربا على حملة الدعوة المخلصين وتكيل لهم التهم وتلفق حولهم الافتراءات عن طريق أقلام مأجورة من كتاب يسمون (مشايخ) لا يتقون الله ولا يخشونه. وتتخذ في ذلك تضليلات منها نقد العمل الإسلامي، أو تقييمه، أو توجيهه .. وهكذا، أو دراسة الحركات الإسلامية على الساحة .. وغير ذلك من ضلالات ما أنزل الله بها من سلطان.

أما الأسلوب الثالث في وحرب هذه الفكرة ـ

فكرة الدولة الإسلامية - وهو الأخطر بين هذه الأساليب فهو أسلوب تبني الفكرة نفسها، عن طريق إعلان قيام حكومات في بعض بلاد المسلمين، والادعاء بأنها حكومات إسلامية. وقد استخدم هذا الأسلوب لامتصاص حماس الناس الديني، وتوجيهه وجه خاطئة، وإجهاض العمل المخلص في مناطق معينة، وقد أخذ من وقت المسلمين ومن جهودهم الشيء الكثير، وكانت ثمرته خالصة لدول الكفر.

وخطر هذا الأسلوب ليس فقط قبل دولة الإسلام، وإنما قد يكون بعدها أيضا، إذ قد تلجأ حكومات الغرب إلى إعلان دول إسلامية في حال قيام دولة مخلصة وذلك من أجل تضليل المسلمين حول حقيقة الدولة الإسلامية.

❖ الأسلوب الثاني: إدخال الحركة الإسلامية العاملة في مسألة الحرب المادية.

وهنا تعمد إلى استخدام العمل المادي، ويتم والإيقاع بها لتصطدم مع أبناء الأمة وتصبح في مواجهة معها. وهذا الأسلوب فيه من الخطر الشيء الكبير مع الحركة وعلى العاملين فيها، وخاصة إذا لم تَعِ الحركة كيف توجه أنظار الناس، وكيف تكسب ثقتهم، وكيف ترسخ في أذهانهم طريقة عملها بشكل واضح لا لبس فيه، وتلفت أنظار الناس كذلك إلى أساليب الكفر التضليلية للإيقاع بينها وبينهم.

❖ الأسلوب الثالث: محاربة فكرة العمل السياسي عن طريق التضليل الفكري.

وهذه الحرب لهذه الفكرة جاءت بعد دراسة واستنتاج، حيث استنتج الكفار أن العمل غير السياسي لا يؤثر في الواقع السياسي شيئا. وهذه النظرة في محلها، فالعمل الإسلامي إن لم يكن سياسيا، أي يتبنى مصالح الناس ويسعى من خلال ذلك لإيجاد دولة ترعى شؤون الناس بالإسلام فلا قيمة له شرعا ولا في أرض الواقع.

لذلك عمل الغرب جاهداً لمحاربة فكرة السياسة والعمل السياسي، وترسيخ فكرة فصل الدين عن الحياة، وظهر كتاب، وعلماء ضالون مضلون يقولون: (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، وأن السياسة هي الكذب والدجل والخداع وغير ذلك من ألقاب)، حتى أن بعضهم اختلق أحاديث نسبها للرسول عليه السلام كقولهم قال الرسول: (لا حزبية في الإسلام ولا سياسة في الدين).

والحقيقة أن الحرب على هذه الفكرة إنما هي حرب على المخلصين من أبناء الدعوة، لأنه لا إخلاص دون عمل سياسي، أي دون رعاية مصالح المسلمين وتبنيها.

❖ الأسلوب الرابع من أساليب التضليل: الاغراءات للإيقاع بالحركة وإدخالها في دائرة الفساد في نظام الحكم الكافر.

فعندما تقبل الحركة لنفسها عن طريق أساليب التضليل أن تشارك في أنظمة الكفر كدخول الوزارات وتشريع الأحكام الوضعية وتمرير القرارات السياسية الخطرة من خلال تواجدها في البرلمان فإنها إنما توجه إلى قلبها خنجراً مسموماً فتقتل نفسها بيدها، لأنها تفقد بعد ذلك ثقة الأمة بها لتلوثها بفساد النظام وظلمه. ففي تركيا مثلا استطاع الجيش أن يدخل حزب الرفاه في أجهزة الحكم، ثم خلعه خلعا ورمى به إلى الشارع، مما أفقده ثقة كثير من أبنائه وأتباعه، وجعل بينه وبين الناس شرخا.

وفي الأردن كذلك فقدت الحركة ثقتها من الأمة، عندما انخرطت في مؤسسات النظام من خلال الوزارة والبرلمان، وفي السودان كذلك حصل نفس الشيء مع الترابي وأتباعه.

هذه أهم الأساليب التي يتبعها الكفر في حربه التضليلية الكافرة ضد أبناء الأمة المخلصين، وضد العمل لاستئناف الحياة الإسلامية . وإن هذه الأساليب الماكرة المدروسة بعناية وتدبير وتخطيط لتحتاج إلى دراية ووعي في كيفية مواجهتها، وتحذير العاملين في الحركات الإسلامية من خطرها، وتحذير الأمة بشكل عام، فكيف السبيل إلى ذلك؟ ❑

[يتبع]

الصراع الفكري والكفاح السياسي (٢)

ذكرنا في الحلقة السابقة أن العمل السياسي ينقسم إلى قسمين هما: الصراع الفكري والكفاح السياسي. وقد بيّنا أن الصراع الفكري هو صراع لعقائد الكفر وأنظمته وأفكاره، وللعقائد الفاسدة، والأفكار الخاطئة، والمفاهيم المغلوطة، وقد استوفينا ذلك.

وفي هذه الحلقة، نستوفي البحث في الكفاح السياسي، وأنه مكافحة الدول الكافرة المستعمرة، وكشف مؤامراتها، كذلك مقارعة الحكام في بلاد المسلمين ومحاسبتهم والتغيير عليهم بإقامة حكم الإسلام، وهذا ما سنستكمل بحثه في هذه الحلقة بإذن الله.

وإلى جانب الآيات جاءت الأحاديث الكثيرة والمتضافرة في هذا الباب، نذكر منها ما يلي، عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» ثم تلا الآية الكريمة: ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوْا وكانوا يعتدون ۞ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ۞ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ۞ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾ [المائدة: ٧٨-٨١] ثم قال: «كلا، والله لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذنّ على يد الظّالم، ولتأطرُنّه على الحق أطراً، ولتقصرُنّه على الحق قصراً، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم» رواه أبو داود والترمذي. وقال عليه الصلاة والسلام: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظّالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» رواه أبو داود والترمذي والنسائي. فهذه الأدلة كلها تشير إلى مقاومة الظلم، وخاصة ظلم الزعماء والقادة لأنهم رؤوس القوم وبيدهم السلطان.

ومن الكفاح السياسي أيضاً كشف مؤامرات وخطط أولئك الزعماء والقادة إلى عامة الناس لكي يظهروا على حقيقتهم. فهذا أبو جهل وأبو سفيان وصفوان بن أمية، وأمية بن خلف والوليد ابن المغيرة وغيرهم، يجتمعون في دار الندوة كي يتشاوروا في أمر محمد ﷺ وأمر الدعوة الجديدة قبل أن يفد عليهم العرب إلى مكة أيام الحج. وكان أمر محمد ﷺ قد غاظهم وقض مضجعهم وزعزع سيادتهم وزعامتهم في قريش، فأرادوا أن يتفقوا على رأي واحد يكذبون به هذه الدعوة الجديدة ويشوهون أفكارها. وبعد المناقشة والحوار اتفقوا على أن يتعرضوا للعرب القادمين ويحذروهم من الاستماع إلى محمد ﷺ لأن له سحر البيان، يقول كلاماً يفرق به بين المرء وزوجه وبين العشير وعشيرته، وبين الرجل وقومه، فكشف الله سبحانه وتعالى هذه المؤامرة إلى الرسول ﷺ في قوله: ﴿إنه فكر وقدر ۞ فقتل كيف قدر ۞ ثم قتل كيف قدر ۞ ثم نظر ۞ ثم عبس وبسر ۞ ثم أدبر واستكبر ۞ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ۞ إن هذا إلا قول البشر ۞ سأصليه سقر﴾ [المدثر: ١٨-

٢٦]، وكما كشف القرآن مؤامرات هؤلاء القادة والزعماء للرسول ﷺ كشف له أيضاً مؤامرات أئمة الكفر وأولياء الشيطان. فهذه اليهود تزعم أنها آمنت بمحمد ﷺ، فتتظاهر بالإيمان ثم تكفر، لجعل أتباع محمد ﷺ من الأميين يشكّون في صدقه بعد أن توهمهم أنها خالصة النية لله ولكنها ما كذبت محمداً ﷺ إلا بعد أن حققت في كتبها ووجدت أن ما يزعمه لم ينزل الله به من سلطان، وقد حذرهم الله من قبل من السماع إلى الدجّالين الذين يدّعون النبوة. وكانت هذه مؤامرة خبيثة تستهوي العقول الضعيفة، ولكن الله سبحانه وتعالى كشف هذه المؤامرة إلى المؤمنين وحذرهم من أئمة الكفر وأولياء الشيطان، فقال جل من قائل: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ۞ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ۞ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ [البقرة: ١٣-١٥]، وكشف الله أيضاً لنبيه وللمؤمنين الخطة التي دبرت لهم داخل مسجد ضرار للقضاء عليهم جميعاً، فقال عز وجل: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ۞ لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ۞ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٩]، وهذا كله كان من المؤامرات التي تحاك في الخفاء ضد جماعة المؤمنين، وإنها حقاً لمؤامرات خبيثة ودنيئة لا زالت قائمة إلى يوم الناس هذا، يمارسها أولياء الشيطان في مجتمعنا الحاضر، ويبغون من ورائها تصديع جدار الأمة المسلمة، وتشكيكها في دينها ويتهمون المخلصين من أبنائها باتهامات غريبة، كقولهم بأنهم متطرفون، وإنهم إرهابيون، وإن لهم أغراضاً سياسية يتطلعون بها إلى مقاعد الحكم... إلى غير ذلك من التهم والشتائم القذرة التي لا تليق إلا بأصحابها. والحقيقة أن أولئك الزعماء والحكام هم المتطرفون فعلاً عن الدين بما تحمل هذه اللفظة من معانٍ لغوية وشرعية. وأما المخلصون من أبناء هذه الأمة فإنهم يعيشون بالدين وداخل الدين ولم يتطرفوا عنه أبداً كما تطرف هؤلاء الحكام الضَالون. أما قضية الإرهاب فالكل شاهد على ذلك القمع البوليسي والإرهاب العسكري الذي تمارسه السلطة على الأقوام العُزّل، وتضطهد به شعوبها، ولا شك أن الأعمال البوليسية تجرى مع التعذيب وبأدواته البشعة، والتصفية الجسدية، واقتحام البيوت على الناس بالليل وهم نيام، وحشد الشباب المسلم في المعتقلات والسجون وخاصة منهم الشباب الذين يعملون على تغيير واقع هذا المجتمع المتعفن، كل ذلك وغيره لا تمارسه الجماعات الإسلامية، وإن كان يدعى عليها امتلاك العصا والبندقية لكي ترد بهما الأذى عن نفسها. وأما الطمع السياسي ففي من تراه كامن؟ أفيمن نصب نفسه فرعون على الناس وقال أنا ربكم الأعلى، فلا سياسي مبدع إلا - أنا - ولا زعيم فذ إلا - أنا -، ولا غرو في فوزه على قائمة المرشحين (الخالية من الأسماء) في كل دورة انتخابية (مسرحية) بنسبة - ٩٩.٩٩%، أم في الذين خرجوا من ديارهم وواجهوا بصدورهم بنادق الطغاة بكل استماتة، وإخلاص لله ودينه ولرسوله، متوكلين على الله في تحطيم صنم الطاغية المتجبر، العاض على كرسي الحكم بنواجذه لكي يخلصوا الأمة من وثنيته القذرة.

وكما كان القرآن الكريم يكشف المؤامرات والخطط، كان كذلك يكشف بالاسم صراحة أو بالإشارة والإيماء أصحاب هذه المؤامرات وأولياء الشيطان من حكام وغيرهم. فتحدث عن فرعون وهامان وقارون والسامري، وتحدث عن أبي لهب والوليد بن المغيرة وأبي جهل وأمية بن خلف وغيرهم كثير. ولذا يجب كذلك على حملة الدعوة أن يكشفوا للأمة المتآمرين عليها، سواء أكانوا من الحكام وأتباعهم، أم من المفكرين والسياسيين

وأصحاب القلم والدعاية، حتى يعلمهم الناس ويظهروا على حقيقتهم فيحذروا مكائدهم. ولا يقال هنا إن بعض الحكام خُدِعوا وساروا في خط الغرب عن حسن نية منهم، لا يقال ذلك، فواقع العمالة لا ينظر فيه إلى سوء النية أو حسنها، لأن العمالة هي العمالة لا تتغير، ولا فرق فيها بين سوء النية أو حسنها، لأنها تعرض الأمة إلى الضياع والدمار والبيع الرخيص في سوق السياسة العالمية.

وكما يمارس هؤلاء الحكام العمالة المفضوحة، فإن بعض المفكرين والسياسيين ومنهم كتّاب الأدب والشعر والصحافة يمارسون كذلك هذه العمالة بطريقتهم الخاصة، وهؤلاء يلتحقون بزمرة أولياء الشيطان الذين كانوا ولا زالوا وبالاً على الأمة ينفثون فيها سموم الفساد الخُلُقي والتلوث الفكري. وهؤلاء أيضاً لا بد من ملاحقتهم وكشفهم وفضحهم للناس بدون أي تحفظ، حتى يحصل الاحتراز من شرهم وشر بضاعتهم.

ومن الكفاح السياسي أيضاً وبالإضافة إلى التصدي للحكام وأئمة الكفر وأولياء الشيطان، يجب معرفة ما يحاك ضد الأمة من مؤامرات خارجية وما يدبر لها من دسائس وما يكاد لها من مكائد، وكذلك معرفة ما يدور حولها من أحداث وما يحيق بها من أخطار. لأن الخطط والمؤامرات التي تقوم بها الدول الأجنبية ضد الشعوب الإسلامية هي من أجل احتوائها وتدجينها ثم الهيمنة عليها والسيطرة على خيراتها. فكان من الضروري على حامل الدعوة أن يهتم بالسياسة العالمية وأن يتابع جميع الأحداث وان ينقب عن جميع المعلومات التي تفيده في تحليل الأوضاع السياسية، «لذا نجد أن القرآن الكريم لم يهمل ذلك، وفي قصة المراهنة بين قريش وأبي بكر خير مثال على تتبع ذلك. في قصة الحرب بين الروم والفرس، قال تعالى: ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر..﴾ فالفرس والروم هما الدولتان الأوليان في العالم، والصراع بينهما على مناطق النفوذ أمر حتمي، والحرب سجال بينهما، وقد كان العرب قسمين قسماً موالياً للروم وقسماً موالياً للفرس كالغساسنة والمناذرة، حتى إن نفوذ الفرس كان قد وصل إلى اليمن، وأما الروم فقد كانوا على تخوم الجزيرة مما يلي الأردن، ولهذا كان الاهتمام بأمر هاتين الدولتين أمراً حتمياً بالنسبة للمسلمين، وكانوا يتتبعون الأحداث والوقائع، وذلك لما لها من أثر عليهم وعلى ما يهدفون له، وحين جرت مناقشة أبي بكر لقريش ومراهنتهم، كان أبو بكر ينطلق من وعيه السياسي على ما يحيط بهم، ومن تعليم رسول الله لهم»[١٤]. وعليه فإن أية كتلة سياسية أو أي جماعة مؤهلة لذلك يجب عليها أن تشغل نفسها بالكفاح السياسي، والوعي على واقعها وما يحيط بها، وهذا أمر ضروري بينه القرآن الكريم، وانتهجه وسار عليه محمد رسول الله ﷺ، ويتضح لنا ذلك من نصيحته لأصحابه الذين أمرهم بالهجرة إلى الحبشة حين قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فالرسول ﷺ لم يفكر «في هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية، لأنها كانت ترفض دعوته في مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكاً بدينها الوثني. وكذلك لم يفكر في الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين لأن كلاً من الجاليتين اليهودية والمسيحية كانت تنازع الأخرى وتنافسها في النفوذ الأدبي ببلاد العرب، فهما والحالة هذه لا تقبلان منافساً ثالثاً خصوصاً إذا كان من العرب الذين كانوا يحتقرونهم ويقولون فيهم (ليس علينا في الأميين سبيل). أما اليمن ـ وكانت مستعمرة للفرس الذين لم يدينوا بدين سماوي ـ فلم يطمئن الرسول إلى الالتجاء إليها. وقد برهنت الأيام على بعد نظره، فقد كتب كسرى إلى «باذان» عامله على اليمن: «ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين جلدين من عندك فليأتياني به». وكذلك شأن الحيرة التي كانت إلى ذلك الحين بعيدة غاية البعد عن مكة. أما الشام فهي بعيدة كذلك، فضلا عما كان يسودها هي والحيرة إذ ذاك من اضطراب. ولا يخفى استحالة الهجرة إلى مكان قصي كالحيرة والشام على أولئك

اللاجئين الذين كانوا يخرجون من مكة فقراء مستذفين من قريش لئلا تحول بينهم وبين الخروج، ثم إن كلا من الشام واليمن والحيرة كانت أسواقاً هامة لتجارة قريش. وكان لقريش بكل منها صلات وثيقة ومصالح متبادلة وزيارات في أوقات منتظمة. فإذا علمت هذه القبيلة بوجودهم في بلد منها طلبت إلى أهل ذلك البلد أن يردوهم إليها ويخرجوهم منها، كما حاولت ذلك مع النجاشي لولا تسامحه وقوة خلقه»[١٥] وكذلك في حكمه على بلاد فارس حينما وصله خبر سقوط ملكهم وجلوس امرأة على كرسي الحكم إذ قال عليه الصلاة والسلام: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم لامرأة...»، ويتضح ذلك أكثر في خروجه من المدينة إلى مكة متحدياً قريشاً أمام العرب بعدما تدسّس عليه الصلاة والسلام ضعفها السياسي وضعف تأثيرها على القبائل العربية، فاضطرها رغماً عن إرادتها على عقد مهادنة مع دولته الناشئة لمدة عشر سنوات.

هذه بعض الخطوط العريضة كما بينتها لنا المصادر الشرعية: كتاب الله وسنة رسوله، وهي تنبهنا لأهمية الكفاح السياسي من تتبع لأخبار الدول والأمم المجاورة حتى تضمن الدولة لنفسها الأمان والاستقرار السياسي في العالم. واليوم، وفي واقعنا الحالي هناك كثير من الأعمال والخطط تعقد من حولنا مع الدول الأجنبية ـ كالاتفاقيات والمعاهدات والأحلاف العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية ـ والتي من شأنها إدخال نفوذ الكفار إلى بلاد المسلمين. ومن الأمثلة على ذلك ما قامت به دول الخليج من عقد معاهدات عسكرية مع أميركا وبريطانيا وفرنسا، وكذلك الدخول في تحالف دولي بقيادة أميركا لضرب العراق، وجميع الاتفاقات الاقتصادية بين دول المسلمين وصندوق النقد الدولي، الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة، وأيضاً المعاهدات الثقافية التي عقدت بين تونس والمغرب والجزائر ولبنان مع فرنسا، ومن المؤامرات أيضاً استغلال الانتفاضة لإيقاع المعاناة على أهل فلسطين وحملهم على قبول الاستسلام باسم مشروع السلام، ومثل استخدام الديمقراطية في بعض البلاد الإسلامية لخلق الحروب الأهلية والصدامات الدموية بين قوى الأمة الواحدة، كما حصل في الجزائر ونجيريا وأفغانستان، أو كالاستفتاء الذي تقدمت به الأمم المتحدة للصحراء الغربية مع أنه يفرق بين المسلمين ويطعن في وحدتهم.

ذاك هو الكفاح السياسي الذي يجب على الجماعات الإسلامية والكتل الحزبية أن تشتغل به وتعني نفسها ببحثه وتسعى لإظهاره للأمة التي تجهل أسراره. وبهذا تكون هذه الكتل وتلك الجماعات قد استكملت شروط العمل في مجال الصراع الفكري والكفاح السياسي، وضمنت لنفسها وللأمة، التي تعمل فيها ومعها لتغيير الخارطة السياسية العالمية لصالحها وإنقاذ البشرية جمعاء من الظلامية والجاهلية، والسَّير نحو النهوض والرقي، والوعي السياسي، الذي لا بد منه، حتى إذا استأنفوا الحياة الإسلامية، بإقامة دولة الخلافة، ضمنوا بقاءها على الدوام داخل هذه المجموعة الضخمة من الدول، وأكثرها دول استعمارية تترصدهم.

وبهذا نكون قد أوضحنا مسؤولية المسلمين في تحمل عبء هذا الصراع، وحرمة القعود عنه، وأصدق الحديث كتاب الله تعالى إذ جاء فيه: ﴿ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الأرضُ ولكن اللهَ ذو فضل على العالمين﴾ [البقرة: ٢٥١]، أي لو لم يتفضل الله سبحانه وتعالى بدفع الصالحين إلى مصارعة المفسدين والضالين وصدهم عن الكفر والطغيان لفسدت الأرض بأكملها وانعدمت فيها مواطن الخير ❑

[انتهى]

خالد إبراهيم العمراوي

سويسرا

المصادر والمراجع

(١٤) نهج القرآن الكريم في الدعوة، حافظ صالح، ص١٠٩.
(١٥) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، ج١، ص٧٥.

المشروع الأميركي
لتفتيت السودان ... والانقلاب على الترابي

أبو إبراهيم ـ حضرموت

إحتدم الصراع على القارة السوداء في الآونة الأخيرة بين الدول التي كانت تستعمر القارة في الماضي، وبين أميركا التي تعمل على إزالة ذلك النفوذ لتحل محلّه، وذلك للخيرات والثروات الهائلة التي تمتلكها الدول الإفريقية، والسودان هي إحدى الدول التي يجري الصراع حولها.

فالسودان أصبح من الدول النفطية، فقد بدأ قبل أشهر قليلة بتصدير النفط من مشروع نفط النيل الأعظم، ويمتلك السودان ثروة حيوانية هائلة، وأراضي زراعية تقدر بمليوني فدان صالحة للزراعة، تصنع منه بحق سلة العالم الغذائية، والعديد من الثروات الأخرى. فتحركت أوروبا القريبة وآسيا البعيدة نحو هذه الخيرات بمشاركة من البوابة الخلفية عن طريق شركات مساعدة من كندا، وأسوج، وبريطانيا ـ ألمانيا ما أزعج أميركا التي تفرض عقوبات من جانب واحد على السودان، فعلى سبيل المثال انتقدت مادلين أولبرايت بشدة شركة نفط كندية هي جزء من مجموعة دولية (تضم شركات من الصين وماليزيا) وقالت خلال زيارتها إلى أقطار إفريقية (إن بعض الأقطار تخطئ فتعتقد أن الاستثمار الأجنبي في ظل حاكم استبدادي يمكن أن يساعد الناس العاديين مضيفة أن المداخيل تنتهي عوضا عن ذلك إلى جيوب الحكام.

ومن جهة أخرى قامت بريطانيا بالعمل على تعطيل المساعي الأميركية لفصل الجنوب وإعطاء دور للفصائل المعارضة الموالية لها في الحياة السياسية السودانية، من خلال المصالحة الوطنية، فدفعت القذافي إلى إيجاد مبادرة جديدة تكون بديلة عن مبادرة هيئة (الإيغاد)، والتي تقضي بالتفاوض مع الحركة الشعبية بقيادة جون غارانغ فحسب لتسوية قضية جنوب السودان، أما المبادرة الليبية فتهدف إلى إيجاد مصالحة مع جميع الفصائل والأحزاب السودانية المعارضة، فأسرعت مصر بطرح مبادرة جديدة لاحتواء المبادرة الليبية، والرجوع إلى مبادرة الإيغاد، وبالفعل تم دمج المبادرتين والاتفاق على أن المبادرة المصرية الليبية ليست بديلا عن مبادرة الإيغاد.

والمتتبع لأعمال أميركا في السودان، يرى أنها ترتكز على خطة شاملة تقوم على أمرين:

١ـ فصل جنوب السودان وإقامة دولة تابعة لها فيه على غرار ما فعلته في أثيوبيا.

٢ـ إقامة نظام مستقر في شمال السودان قائم على النظام الديمقراطي بعد انفصال الجنوب.

ولتنفيذ مشروعها الانفصالي هذا، شهدت المنطقة تحركات قوية من الإدارة الأميركية. فقد قامت وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت بزيارة لعدة دول إفريقية، واعتبرت في محطتها الكينية، ولقائها الرئيس دانيا آراب موي في ٩٩/١٠/٢٢م أن مفاوضاتها مع غارنغ رسالة إلى الخرطوم لكي يتعامل بجدية أكثر مع الجيش

الشعبي ويأخذ طروحاته في الاعتبار، وأثنت أولبرايت على جهود المنظمة الحكومية لتنمية ومكافحة الجفاف الإفريقية (إيغاد) التي تسعى إلى إحلال السلام في السودان، وأشارت إلى أن بلادها ملتزمة تمويل نصف نفقات هذه المبادرة، وأضافت: «إننا نحتاج إلى تجديد جهودنا السلمية، فما يجري في السودان يروِّعنا جميعاً وننزع إلى اعتبار مبادرة إيغاد هي الأنسب للمضي قدماً في جهود التسوية»، وسئلت عن المبادرة الليبية المصرية فقالت «إن جميع الجهود السلمية يجب أن تدخل تحت مظلة المبادرة الإفريقية، ونظن أن العملية التي تقوم بها إيغاد هي الوسيلة الفضلى للتقدم ولا ندعم أي جهود أخرى يقترحها بعضهم في مصر وليبيا». ويرى محللون أن لقاء أولبرايت ـ غارانغ، شكل لحظة درامية في مخطط الدعم الأميركي للمشروع الكنفدرالي في السودان، وتم الاتفاق فيه على مجموعة خلوات تنسيقية الهدف منها إقامة البنى التحتية للدولة الانفصالية، وتحويل فصائل الجيش الشعبي إلى قوة نظامية متماسكة بعد تدريبها تباعاً في كمبالا وتزويدها بالسلاح من خلالها أيضاً.

وفي موازاة هذه الخطوات الحاسمة جرى التأكيد على جبهة سياسية واحدة تعمل في المرحلة الأولى على خطة تدويل قضية جنوب السودان، وتصعيد الضغوط بهدف تسريع عملية حسمها خلال العام ٢٠٠٠، قبل الدخول في مرحلة شطر الدولة الجنوبية من الخريطة، وإقامة إدارة ذاتية كما في شمال العراق تتحول تدريجياً إلى دولة يتم الإعلان عنها في الوقت المناسب.

وأعلنت أولبرايت عن سعيها إلى زيادة الضغط على حكومة الخرطوم لإنهاء الحرب الأهلية، وامتدحت جون غارانغ قائلة إنه «زعيم ناشط جداً من الصعب تحقيق أهدافه لأنه غير معترف به دولياً». وأعلنت أن الولايات المتحدة ستقدم برنامجاً قيمته ثلاثة بلايين دولار سنوياً للمجتمع المدني في جنوب السودان على مدى عامين وحتى ٢٠٠٢، ويمارس نواب بارزون في الكونغرس ضغوطاً على إدارة كلينتون لمنح المتمردين معونات غذائية ما يمكنهم من تخصيص وقت وموارد أكبر لحملتهم العسكرية.

وتبعاً لتقارير دبلوماسية محدودة التداول نشرتها مجلة الحوادث في عددها الصادر في ٢٣/ كانون أول فإن خطة تدويل قضية جنوب السودان التي دخلت حيز التنفيذ ترتكز إلى جملة عناصر محورية منها فرض رقابة دولية على وقف النار القائم بعد توسيعه، وتعزيز دور وساطة الهيئة الحكومية للتنمية في شرق إفريقيا، وإعطاء مهلة ستة أشهر للمفاوضات التي تديرها الهيئة بين الحكومة السودانية والمتمردين الجنوبيين. على أن تبدأ بعدها ضغوط من خلال إجراءات عقاب تستند إلى تقارير فرق الرقابة الدولية، وتزامن الإعلان عن هذه المعلومات مع اختتام اجتماعات شركاء «إيغاد» في روما. وهي مجموعة من الدول الغربية تعنى بجهود المنظمة الإفريقية، خصوصاً لناحية حل النزاعين السوداني والصومالي. ويتولى «الشركاء» تمويل عمل «الإيغاد» في حقل السلام السوداني الذي يقتصر على تفاوض بين الخرطوم والجنوبيين بقيادة العقيد غارانغ، ولا يشمل المعارضة. الشمالية وفي موازاة ذلك، صدرت في الأيام الأخيرة إشارات عن الحكومة السودانية ومعارضين بارزين باقتراب تدويل قضية جنوب السودان، الذي تجلّت أبرز صوره في قرار خاص بالسودان أصدره الكنغرس الأميركي، تبعه تعيين الرئيس كلينتون رئيس لجنة إفريقيا السابق في الكنغرس هاري جونستون مبعوثاً خاصاً، وهو كان رعى قبل خمس سنوات مصالحة بين غارانغ وخصمه رئيس مجلس جنوب السودان رياك مشار، وتفيد معلومات من مصادر دبلوماسية أن الأميركيين والأوروبيين توافقوا على التداول في ظل ضغط متزايد مارسته منظمات مسيحية وإنسانية غربية لوقف الحرب الأهلية في جنوب السودان.

وفي المعلومات أن التوجه الجديد يرتكز إلى حزمة من الخطوات المتتالية

يمكن رصدها على النحو التالي:

● إقرار وقف شامل لإطلاق النار (تحقق بعضه بإعلان من الخرطوم وغارانغ).

● الدفع في اتجاه قبول إرسال فرق مراقبين دوليين أو إقليميين لوقف النار يصبحون حكماً ومصدراً لمواقف مستقبلية في الإدانة والتواصل المستمر مع الأطراف.

● صدور قرارات ضاغطة تدفع بالطرفين إلى إكمال تفاوضهما على أساس تقرير المصير الذي يمكن أن يؤدي إلى انفصال الجنوب.

ومن المتوقع أن يبدأ تنفيذ الخطة بعد مهلة تصل إلى ستة أشهر تعطي في خلالها أمانة (إيغاد) الجديدة إلى الكيني دانيال أمبوبا، وركز اجتماع الشركاء في روما على إكمال تشكيل هذه الأمانة، وتعيين ثلاثة مستشارين (عسكري وسياسي وقانوني) من ذوي الخبرة الدولية في فض النزاعات بالطرق السلمية، وتناول اجتماع روما أيضاً تمديد التزامات تمويل عمل الهيئة، ومساعدتها عملياً على تنشيط جهودها خلال المهلة. وينتظر أن تعقد جولة جديدة من المفاوضات في نيروبي قبل نهاية الشهر الجاري (كانون الأول).

وإذا انتقلنا الآن إلى الساحة السودانية نفسها، نرى أن أميركا اعتمدت في تحقيق مشروعها الخبيث الخاص بجنوب السودان على إيجاد حالة من عدم الاستقرار السياسي وحالة اقتصادية سيئة، فقامت بدعم حركة التمرد، متمثلة بالحركة الشعبية، عن طريق الدول المجاورة التابعة لها، والأموال التي تقدمها واشنطن على شكل مساعدات لجنوب السودان، فاستمرت الحرب الأهلية ١٦ عاماً، وأدت إلى حدوث مجاعات في مناطق القتال وحالة اقتصادية سيئة، وحكومة هشة، وصراعات داخل السلطة الحاكمة نفسها، فالقتال المستمر والمجاعات أدت إلى نزوح عدد كبير من جنوب السودان يقدر بـ ٤ ملايين شخص وهذا يمثل ثلثي سكانه، في حين بلغ عدد اللاجئين الذين نزحوا إلى العاصمة الخرطوم من مناطق القتال والدول المجاورة ٢,٥ مليون لاجئ يسكنون سكنى هامشية بلا صحة ولا مدارس، ولا أكل ولا شرب، ما أدى إلى تردي الحالة الاقتصادية في العاصمة نفسها، حتى إن نصف السكان لا يتوفر لديهم الثلاث وجبات، وأيضاً من جراء الحالة الاقتصادية المتردية تم تسريح عدد كبير من موظفي الدولة فمن الشرطة سرح عشرات الألوف، ومن الجيش مثلهم، أما الخدمة المدنية فقد تجاوز عدد المسرحين هذا العدد حتى أصبحوا متسولين.

هذه بعض الأمثلة على الحالة الاقتصادية المتردية التي يعيشها السودان. أما بالنسبة للحكومة والصراعات داخل السلطة الحاكمة فقد أصبح على الساحة السودانية عدة مراكز قوى، عدا قوة رئيس الدولة عمر البشير، فهناك قوى موالية للدكتور حسن الترابي متمثلة بالدفاع الشعبي، والشرطة الشعبية، وغيرهم بالإضافة للمؤتمر الوطني (الحزب الحاكم)، أيضاً أصبحت هناك قوى داخل العاصمة تتكون من الجنوبيين أتباع رياك مشار مساعد الرئيس السوداني لشؤون الجنوب، وكونفور اراب نائب الرئيس فإن لهم قوات مسلحة داخل العاصمة غير تابعة للجيش السوداني، وصاروا يصطدمون مع بعض داخل العاصمة.

وقد خلقت حالة البلاد هذه صراعاً محموماً بين البشير والترابي على مراكز القوى والنفوذ داخل السلطة والمؤتمر الوطني، وقد كان يهم أميركا من هذا الصراع أن ينتهي إلى تنفيذ مخططاتها كاملة والحيلولة دون أن يكون للإنجليز وجود مؤثر في السودان، وعليه فقد راقبت هذا الصراع من هذه الزاوية والذي اشتدت سخونته في الأشهر الأخيرة، فقد تصاعدت الخلافات بين الرئيس البشير والدكتور حسن الترابي حتى ظهرت إلى العلن، فقد بدأ الأخير باعتباره رئيساً للبرلمان، وأميناً عاماً للمؤتمر الوطني بتعديلات دستورية واسعة النطاق رداً على الإجراءات التي اتخذها الجهاز التنفيذي؛ والتي استهدفت تحجيم

صلاحياته ونفوذه داخل المؤتمر الوطني.

فقد شملت التعديلات المقترحة، تعديلات دستورية، وتعديلات في المؤتمر الوطني (الحزب الحاكم) فجرى النقاش في البرلمان على تعديلات دستورية تشمل ستة بنود دستورية:- اختصاصات رئيس الجمهورية، ومجلس الوزراء، وخلو منصب الوالي، ومهمات البرلمان، وديوان الحكم الاتحادي. ومن جهة أخرى جرى العمل على استحداث منصب رئيس الوزراء، وانتخاب الولاة مباشرة، ما يعني تقليص صلاحيات الرئيس.

وعلى صعيد آخر قام المؤتمر الوطني (التنظيم الحاكم) بتعديلات جوهرية في نظامه الأساسي لتتوافق مع قانون التوالي (الأحزاب) الذي يحظر انتماء العسكريين إلى أي تنظيم سياسي، ومن هنا تم إلغاء دور الفريق المتقاعد حسان عبد الرحمن وجميع القادة والضباط الذين كانوا يشكلون لجنة الدفاع والأمن في الحزب الحاكم، وهذا الأمر اقتضى صيغة قانونية تسمح باستمرار عمر البشير في منصبه كرئيس للحزب الحاكم ورئاسة الجمهورية فقد قال معتصم عبد الرحيم مسؤول المؤتمر الوطني في الخرطوم «إن البشير قد يتخلى عن بزته العسكرية نهائياً إذا كان يريد الاحتفاظ بمنصبه في رئاسة المؤتمر الوطني ورئاسة الجمهورية». وعند انعقاد المؤتمر الوطني طرحت فكرة إحلال وجوه جديدة شابة في أغلب المناصب القيادية التنفيذية، وفي مقابلة مع المشاهد السياسي سئل الترابي عن قصده بالإشارة إلى موضوع الدماء الجديدة، فأجاب «... إذ لا يمكن للقيادات المتقدمة في العمر مهما كانت حكمتها أن تكون قيادات تنفيذية متمكنة من مهمتها أفضل من سواها».

وفي الانتخابات الأخيرة للمؤتمر الوطني انتخب الترابي أمينا عاما للحزب الحاكم، وأصبح بذلك الرجل الأول من الناحية الحزبية، والبشير رئيسا للمؤتمر الوطني (الحزب الحاكم). ورئيسا للجهاز التنفيذي، ما أعطى الترابي فرصة أقوى لتدعيم موقفه ونفوذه، والسير في التعديلات المقترحة.

أما على صعيد إنهاء الحرب الأهلية فقد فتح الترابي حوارا مفتوحا مع رئيس الوزراء الأسبق وزعيم المعارضة الصادق المهدي، للمصالحة الوطنية، وصرح للمشاهد السياسي الصادرة في ٤ كانون أول/ ديسمبر أنه لا خلاف بينه وبين البشير حول السياسة الخارجية والاقتصاد والمعالجة الوطنية «والحقيقة أنه لا خلافات مبدئية داخل قيادات المؤتمر فيما يتعلق بالسياسة الخارجية أو الوفاق الوطني أو الاقتصاد، لذلك لا يمكن القول إن هناك خلافات حقيقية داخل المؤتمر.

أما الرئيس البشير فقد ضاق ذرعا من أسلوب الترابي، وتمادي نفوذه وصلاحياته. فبدأ بحشد التأييد داخل السودان وخارجه للانقلاب على الترابي وتحجيم نفوذه وصلاحياته. فقام عدد من كبار الوزراء بتقديم (مذكرة العشرة) والتي هدفت إلى تحجيم صلاحيات الترابي داخل المؤتمر الوطني، وقد صدرت تعليمات لكبار المسؤولين بالامتناع عن إطلاع الترابي على ما يجري في الجهاز التنفيذي، وحجب المعلومات عنه ما أمكن، وجرت محاولات لمنع الزيارات الخاصة التي يقوم بها كثير من المنتسبين إلى الحركة الإسلامية لمنزل الترابي، وكان التعليل أن مجالس الترابي أضحت معبرا لتسريب أسرار الدولة، واتهم البشير وقادة الجيش أتباع الترابي بالتهور ورفض القرارات وتوفير كوادر تنقصها الخبرة والحكمة لتلحق بالجيش كما حدث حينما خالفت (قوات الدفاع الشعبي) القيادة العليا، وشنت هجوما ضد حركة التمرد قاده صغار الضباط ما أدى إلى وقوع خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

وأصبح البشير يبدي اهتماما كبيرا في الوفاق الوطني، وتحسين صورة السودان التي تشوهت، فأظهر مرونة كبيرة في تنفيذ المخطط الأميركي الخبيث.

فاهتم البشير شخصيا بملف ممتلكات قادة

المعارضة في الخارج، وعقد اجتماعاً مع مقرر لجنة الوفاق الوطني الوزير لام كول واتفقا على اتخاذ تدابير شملت «إعادة كل الممتلكات الشخصية المصادرة إلى أصحابها وإلغاء لوائح السفر لأسباب سياسية، والعفو عن المحكومين السياسيين» وأعلن عن وقف لإطلاق النار في مناطق القتال. وقام بزيارة لعدة دول إفريقية بعضها عضوة في الإيغاد لبحث محادثات السلام التي ترعاها الإيغاد، ولم يستبعد في تلك الزيارة الاجتماع مع جون غارانغ زعيم الحركة الشعبية. وقال: «إنه ليس هناك ترتيبات لعقد مثل هذا الاجتماع، ولكن إذا أثرت التطورات على عملية السلام فإنه يمكن عقد اجتماع بين الحكومة السودانية، وحركة المتمردين على أي مستوى» وفي نفس الزيارة دعت جيبوتي البشير لحضور قمة للإيغاد ستعقدها في ٢٨/ تشرين ثاني/ نوفمبر وفي ٢٦/ تشرين ثاني نوفمبر، تم اللقاء بين البشير والصادق المهدي زعيم المعارضة، ورئيس الوزراء الأسبق في جيبوتي.

وتم الاتفاق على عدة مبادئ كأساس لأي حل سلمي شامل يضع حداً للحرب الأهلية في السودان. ويشمل الاتفاق (نداء الوطن) على عشرة بنود، وقد انطوى على مرحلة انتقالية لمدة أربعة أعوام ينظم بموجبها استفتاء في الجنوب للاختيار بين وحدة بسلطات لامركزية يتفق عليها (نظام فدرالي) أو الانفصال، وأن تكون المواطنة على أساس الحقوق والواجبات الدستورية، ولا فضل لأية مجموعة وطنية على أخرى بسبب انتماء ديني أو ثقافي أو إثني، ويضاف ضرورة مراعاة المواثيق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، وتكون ملزمة. وركز الاتفاق على المبادرة الوطنية باعتبار أنها تشكل محور الحوار والتفاهم السوداني ـ السوداني، وتعمل على دفع جهود السلام عبر مبادرة (الإيغاد) والمبادرة المصرية الليبية.

وكانت الخرطوم قد نجحت في استمالة الصادق المهدي وإغرائه، فقد ظهر المهدي ولأول مرة منذ سنوات على الشاشة الصغيرة، وكان الترابي عرض عليه المشاركة في حكومة مشتركة، فاستطاعت الخرطوم بهذا الاتفاق/ وبالتنسيق مع جون غارانغ ضرب المعارضة الشمالية، فقد جرى إطلاع غارانغ على الخطوط العريضة للاتفاق، في حين لم يعلم به بقية أعضاء التجمع الوطني حسب ما نقلت مصادر صحفية.

فقام غارانغ بالانسحاب من التجمع الوطني في ختام مداولاته في كمبالا في ٩٩/١٢/١١ فقد جرى تراشق بالاتهامات بين (الحركة الشعبية) و(حزب الأمة) في العاصمة الأوغندية وانتقد غارانغ عمل اللجنة الخماسية المكلفة متابعة الحل السياسي الشامل، وتضم إلى جانبه المهدي والميرغني، والناطق باسم التجمع فاروق أبو عيسى، ورئيس الحزب الفيديرالي السوداني محمد إبراهيم دريج، وقدم غارانغ وأبو عيسى ودريج استقالاتهم من اللجنة لعدم استكمالها الأعمال المنوطة بها، وقال نجيب الخير إن المهدي والميرغني هما الآن وحدهما في اللجنة ولن يضاف إليهما أعضاء جدد.

وقد أظهرت مواقف غارانغ الأخيرة وجود تقارب كبير بينه وبين الحكومة السودانية يمهد السبيل إلى عقد مفاوضات بين الجانبين، فقد قال غارانغ أمام المؤتمر السنوي للّجنة الدولية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، في جنيف «في ظل إصرار الخرطوم على فرض قوانين الشريعة، ورفض الجيش الشعبي لذلك، وإذا كان السودان يحتفظ بدرجة من الوحدة في ظل هذين الموقفين المتناقضين، فإن السبيل المنطقي الوحيد لحل المشكلة هو الاتفاق على قيام كونفدرالية في الفترة الانتقالية، وإجراء استفتاء على تقرير المصير للجنوب والمناطق الأخرى المهمشة» ومن جهة أخرى أبدى غارانغ موافقته على المبادرة المصرية الليبية مع دمجها في مبادرة الإيغاد، فقد صدر قرار بموافقته يحض على ضرورة التنسيق بين المبادرتين.

وفي الزيارة الأخيرة للبشير للدول الإفريقية، اجتمع مع الرئيس الأوغندي يويري موسيفيني

المتعهد الإقليمي للمشروع الأميركي في الجنوب في ٩٩/١٢/٨ بحضور الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر جرى الاتفاق فيه على تحسين العلاقات بين البلدين ما يعني الاتفاق على حل قضية الجنوب.

فاستطاع البشير بتحركاته الأخيرة كسب تأييد المؤسسة العسكرية، والدول المجاورة، والولايات المتحدة الأميركية، ما مهد السبيل أمامه للانقلاب على الترابي.

● الانقلاب على الترابي:

اعترض البشير على التعديلات المقترحة، والتمس تأجيل البرلمان لمناقشة هذه التعديلات بدعوى أن تحقيق الوفاق الوطني والمصالحة مع المعارضة تحتل الأولوية في برنامج اهتمامات الرئاسة والحزب الحاكم، غير أن رئيس البرلمان د. حسن الترابي دعا النواب إلى مواصلة مناقشة التعديلات وسط خلافات عميقة إذ إن أنصار الرئيس وفي جلسة علنية اعترضوا على التعديلات وركزوا هجومهم على اقتراح يقضي بانتخاب والي الولاية مباشرة عن طريق الاقتراع الحر، وهو ما اعتبره أنصار الرئيس أنه «يفتح الباب أمام انفصال الولايات ويهدد بتفتيت وحدة السودان في ظل ظروفه الحالية».

قام البشير بعقد عدة اجتماعات مع الترابي لحل الخلاف، وعدم المضي قدما في التعديلات ولكن الترابي أصر على مواقفه فاحتدم الخلاف بينهما ما أنذر بوجود إجراء معين تجاه الترابي. أما عن القشة التي قصمت ظهر البعير فهي قرار اتخذه الترابي في اجتماع عقدته الهيئة القيادية للتنظيم الحاكم (المؤتمر الوطني) تغيب عنه البشير ونوابه وبعض الوزراء، بتكوين لجنة من ثلاثة أشخاص، لمساءلة الرئيس ونائبيه، والوزراء المتغيبين عن جلسات البرلمان لمناقشة التعديلات الدستورية، وأطلق عليها (لجنة الأزمة) وعندما أبلغ البشير بذلك طلب من نائبه علي عثمان محمد طه، وأحمد إبراهيم الطاهر وزير الحكم الاتحادي صياغة الإجراء بحل البرلمان وتعليق المواد الواردة في الدستور عن الحكم الاتحادي، وفي اجتماع عقده البشير في القيادة العامة مع رؤساء الاستخبارات العسكرية، وقوات الدفاع الشعبي، وقوات المظلات والقوات الخاصة، تم ترتيب تأمين المناطق الاستراتيجية في العاصمة والترتيبات الأمنية الأخرى وفي مساء ذلك اليوم ٩٩/١٢/١٢م تم إعلان حالة الطوارئ لمدة ثلاثة شهور، وحل البرلمان، واتخذ القرار دون علم الوزراء الذين كانوا مجتمعين مع البشير في يوم الإعلان نفسه.

وعقب (انقلاب البشير على الترابي) اجتمع البشير في القيادة العامة بالضباط والجنود وتحدث فيهم بحماس شديد، أنه عاد إلى المؤسسة العسكرية ليحكم باسمها قبل أن يغير لهجته، ليتحدث عن انتمائه إلى الجبهة القومية منذ صغره، وإنه أثناء حديث الرئيس البشير للجنود في سلاح المظلات ـ قرب قاعدة الخرطوم الجوية ـ نهض أحد العسكريين وأدى التحية للبشير وقال بلهجة صارمة (ما عاوزين أي ذقن) كناية عن رفضه لمشاركة الإسلاميين في السلطة، فضحك البشير. ذكرت ذلك مجلة الوسط في عددها الصادر في ٢٠ـ٩٩/١٢/٢٦م. وساندت المؤسسة العسكرية البشير بلا تحفظ.

وفي معرض شرح البشير للمبررات التي دعته للقيام بالإجراءات الأخيرة قال إنه قام بها لإعادة هيبة الدولة، والمحافظة على وحدة السودان، وإنهاء الحالة من الفوضى الحزبية التي عمت البلاد، ولتحسين العلاقة بين السودان ودول المنطقة والعالم، وأنها قد رحبت في حركة التغيير في السودان، وفي معرض التعريض بالترابي قال: «إن عليه الالتزام باختصاصاته، ولا ينتقل إلى السلطة الحاكمة».

وبدأ البشير بحشد التأييد لما أقدم عليه داخليا وخارجيا، فقد ذكرت مجلة الوسط في العدد نفسه السابق ذكره أن البشير بصدد إجراء تعديل في مواقع الولاة، إذ تسلم استقالات عدة، وأغلب المرشحين لمناصب الولاة من العسكريين،

وأن البشير أعاد ٣٥ ضابطاً مفصولاً إلى الخدمة المدنية. وأكد في عدة مناسبات على تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومن جهة أخرى فقد صرح غازي صلاح الدين وزير الإعلام عقب حل البرلمان «إن الخطوة الأولى للحكومة التوصل إلى اتفاق مع المعارضة على تعديلات دستورية مع الأخذ في الاعتبار تحفظاتها على قانون التعددية السياسية». وقال أيضاً «إن الإجراءات الأخيرة هيأت فرصاً جديدة للسلام في السودان، وأن المعارضة ملتزمة بإنهاء الأزمة في السودان» وقال البشير في حفلة إفطار رمضاني أقامته الطائفة القبطية في الخرطوم ١٢/٢٦ أن «أي حكومة سودانية لن تستمر إذا لم تمنح الشعب حرياته كاملة» وقال: «إن العام الجديد سيكون عام الوفاق والمصالحة والسلام». وأوضح أنه سيسمح بحرية العمل السياسي للتنظيمات كافة من دون قيود التسجيل الذي يفرضه قانون تنظيم الأحزاب المعروف باسم «قانون التوالي السياسي».

وعلى صعيد آخر قام البشير بزيارة لليبيا واجتمع فيها مع عدد من القادة الأفارقة في قمة مصغرة، وقال إن سبب الزيارة كان «لشرح التطورات الأخيرة في السودان، وتحقيق المصالحة الوطنية» وأعقبها بزيارة لمصر لمدة يومين، أعرب فيها (عن شكره لموقف مصر الداعم للشرعية في السودان، والذي أدى إلى تطويق الأزمة وانحسار نتائجها بما يحمي السودان وأمنه القومي، وكانت مصر أعلنت عبر وزير خارجيتها عمرو موسى أنها تدعم الحكم في السودان، ووحدة أراضيه وقد رد أسامة الباز مستشار الرئيس المصري على انتقادات وجهت لمصر من مؤيدي الترابي حول تدخلها في شؤون السودان الداخلية بقوله «كل ما فعلته مصر أنها أصدرت بيانا قالت فيه إنها تساند الشرعية وتدعم الحكم في السودان» وقال عمرو موسى: «إن المرحلة حرجة، وإن مصر لا تؤيد أي سياسة تؤدي إلى عدم استقرار السودان، وتوجد سلطتين فيه». وقال إن بلاده تسعى للوصول إلى «معادلة تفيد الشعب السوداني من دون معاداة القوى الكبرى وجيرانه» ودعا السودانيين إلى «التوافق والتوحد في سبيل الوصول إلى مستقبل جديد للسودان يأخذ في اعتباره وجهات النظر المختلفة في شأن الاختلافات الكبيرة في تركيبة الشعب السوداني» في إشارة إلى إنهاء قضية الجنوب.

● رد فعل الترابي:

وصف الترابي إجراءات البشير أنها بمثابة انقلاب عسكري، وقال إنها خيانة، وفي تصريح للترابي لقناة الجزيرة الفضائية غداة حل البرلمان وإعلان حالة الطوارئ قال: إن قرار الرئيس السوداني كان فرديا وإن مجلس الوزراء لم يصادق عليه، وأردف أن عددا كبيرا من الوزراء سيتقدمون باستقالتهم احتجاجا على هذا «الانقلاب» وسمى الترابي من بين من قال إنهم سيستقيلون مصطفى عثمان وزير الخارجية، ولكن مصطفى عثمان صرح في اليوم نفسه، وعلى أثير الفضائية المذكورة بأنه لا ينوي الاستقالة مطلقا، فقد خشي الوزير على نفسه وقام الترابي بالتهديد بشكل مبطن حين قال: «إنه لا يريد تحرك الشارع السوداني ولكن ذلك يمكن أن يحصل» وقال إنه سيطعن في دستورية القرار لدى المحكمة الدستورية وبالفعل توجه ١١ نائبا برلمانيا إلى المحكمة للطعن في القرار.

وحول الاتهامات التي صدرت ضده من البشير قال في مؤتمر صحفي إنه يعمل على إرساء الديمقراطية، ولا للحزب الواحد، وإنه يريد التطور نحو الحريات، والتوالي السياسي.

وكان مجموعة من الضباط الموالين للترابي احتشدوا أمام منزله حسب ما جاء في مجلة الوسط على لسان مقربين من الترابي، أكثر من عشرين ضابطا في القوات المسلحة و٥٠ من ضباط الشرطة والأجهزة الأمنية يرتدون الملابس المدنية، وأبلغ هؤلاء الضباط الترابي بقدرتهم على التحرك، وإعادة الأوضاع إلى

سابق عهدها. ولكن الترابي طلب منهم الهدوء كما جاء على لسان أحد كبار مساعديه إبراهيم السنوسي حيث قال: «نحن الذين أمرنا القواعد بالهدوء والالتزام».

والظاهر أن سكوت الترابي كان ناتجا عن قناعته بأن البشير قد كسب المعركة، ولكنه لم يكسب الحرب، بكسب تأييد المؤسسة العسكرية، والدول المجاورة. أما الولايات المتحدة فقد ربطت تأييدها بالسير في مخططها لفصل الجنوب حين قالت: «إنها ترحب في أي نتائج في السودان تسبب في المصالحة الوطنية، وإزالة الإرهاب، وأن واشنطن مع تغيير السياسات وليس تغيير الأشخاص»، وأيضا فإن أميركا وجهت عبر مبعوثها الخاص إلى السودان هاري جونستون دعوى إلى أعضاء التجمع الوطني الديمقراطي المعارض إلى عقد اجتماع في واشنطن بداية العام الجديد، وألح جونستون عليهم أن يقدموا تصورا عن شكل المساعدات التي يريدونها من الولايات المتحدة وطريقة إرسالها فقد قال عمرو موسى عن ذلك الاجتماع «مثل هذا الاجتماع يمكن أن يتخذ شكلا جديدا في ضوء التطورات الجديدة» في إشارة للبشير للسير في المخطط الأميركي.

وأيضا أصبح واضحا للترابي أن أي تحرك منه يعني حربا أهلية ليست مضمونة النتائج قد تؤدي إلى تصفيته جسديا، وأن الأجدى له حشد القوى المختلفة للضغط على البشير للعدول عن قراراته وإعادة الأمور إلى سابق عهدها.

وعلى الصعيد نفسه فقد تمكنت لجنة الوساطة بين الترابي والبشير من إيجاد صيغة حل وسط، تبنتها هيئة الشورى في الحزب الحاكم في اجتماعها الذي عقد في ٩٩/١٢/٢٧م ومن أبرز القرارات التي خرجت بها الآتي:

١- أن يحتفظ البشير بمنصبه رئيسا للمؤتمر الوطني والجهاز التنفيذي، والترابي أمينا عاما للمؤتمر.

٢- احترام قرارات الرئيس بحل البرلمان وإعلان حالة الطوارئ على أن ترفع بأسرع وقت ممكن.

٣- يلتزم الطرفان النزول عند حكم المحكمة الدستورية.

٤- تحديد الاختصاصات والصلاحيات تحديدا دقيقا.

٥- التنظيم يرسم السياسات العامة ويضع الخطط ويحشد التأييد، ويتلقى التقرير من الجهاز التنفيذي ويحاسبه دوريا.

٦- إعادة انتخاب وتشكيل الأجهزة التنفيذية للدولة، وأجهزة المؤتمر الوطني.

والناظر إلى هذه القرارات يرى أنها لم تحسم القضية لأحد الطرفين، وهذا من شأنه أن يصعد الخلافات من جديد، فيبقى الطرفان بحاجة إلى حشد التأييد من القوى الداخلية والخارجية، لترجيح كفة أحدهم على الأخرى.

أيها المسلمون:

ها أنتم ترون مخططا تآمريا أميركيا خبيثا ضد بلد من بلاد المسلمين في مسلسل التفتيت الذي تسير فيه أميركا العدوة، تشترك فيه الحكومة السودانية، ودول المنطقة المجاورة، وإنا لنتساءل هنا ومن حقنا أن نتساءل... أما يكفينا تفتيت وشرذمة حتى يقسم السودان إلى دولتين، والعراق إلى ثلاث، وإندونيسيا إلى دول بعدد جزره التي تبلغ الآلاف؟

أما آن لنا أنة نعمل على هدم هذه الكيانات المسخ التي تزيدنا تفريقا واختلافا وشرذمة، وان نقيم على أنقاضها دولة الخلافة الراشدة التي توحد بلاد المسلمين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في ظل أمير المؤمنين فيظهر الإسلام على كل مبدأ وديـن، ويسير الراكب من مشارق الأرض ومغاربها إلى حضرموت وغيرها من بقاع المسلمين لا يخشى شيئا سوى الله رب العالمين.

اللهم عجل لنا بنصرك العزيز المبين ❑

كلمة أخيرة

مجزرة الطنطورة عام ١٩٤٨م
وابتزاز اليهود للنمسا عام ٢٠٠٠م

إكتشف الباحث اليهودي (تيدي كاتشي) مجزرة حصلت في قرية الطنطورة التي تبعد ٢٨ كيلومتراً جنوب حيفا، وبعد تدمير القرية وجرف منازلها أقام اليهود مكانها منتجعاً سياحياً أطلقوا عليه اسم «دور». قام الباحث اليهودي بجمع اعترافات من مقاتلي لواء «الكسندروني» اليهودي الذي احتل القرية وارتكب المجزرة وقتل ٢٠٠ مسلم في تلك القرية. قامت بعض وسائل الإعلام مؤخراً بمقابلة بعض الناجين من المجزرة والذين لجأوا إلى قرية الفريديس المجاورة فقال أحدهم: «هنا كان المسجد، وهناك كانت تسكن عائلات اليحيى وعمر وطه وزراع، وهناك مدرسة البنين وتلك كانت مدرسة البنات... هنا يرقد عشرات آخرون في ثلاثة قبور جماعية أُجبر القتلى على حفرها قبل أن يجندلهم الرماة اليهود».

إنه لمن المؤلم أن يكشف يهودي عن مجزرة ارتكبت في حق المسلمين ولم يذكرها الإعلام التابع للأنظمة، ولا اكتشفتها التنظيمات الثورية التي تجاوزت العشرة ونصبت نفسها ناطقة باسم الأحياء والأموات من أهل فلسطين، ولم يسألوا أو يطالبوا بمحاكمة المجرمين الذين ارتكبوا ٣٠ مجزرة في فلسطين، وأخرى في مصر ولبنان، ولو من باب رفع العتب، أو رد الاعتبار، أو لتوجيه رسالة إلى الأعداء بأن شهداءنا لا ننساهم حتى بعد نصف قرن. فإذا لم تحركهم نخوتهم المفقودة فعلى الأقل فليقلدوا عدوهم كما قلدوه في أكثر من مناسبة، فقد كان أول مطلب لباراك حين ذهب للتفاوض في أميركا أن يسترجع عظام الجاسوس اليهودي كوهين الذي أُعدم في دمشق عام ١٩٦٥م !!

إن اليهود مرتكبي المجازر لا يزالون يبتزون ألمانيا وأوروبا تحت ذريعة «المحرقة» و«النازية» وتطارد كل من تشك في مساهمته في قتل اليهود أيام هتلر ــ حسب زعمهم ــ ويبتزون كورت فالدهايم تحت ذريعة مشاركته في جهود هتلر ضد اليهود، وآخر ابتزاز لهم حصل ضد حزب الحرية النمساوي الذي يتزعمه (يورغ هايدر) الذي ولد من أبوين نازيين حسب زعمهم، هذا الحزب دخل في حكومة ائتلافية وتولى بعض أفراده بضعة مناصب وزارية، فقام اليهود بحملة ضد هذا الحزب وحركوا عدة دول أوروبية فتجاوبت معهم (ولا يزال البعض يشككون في قدرة اليهود على الضغط على أصحاب القرار في أوروبا وأميركا ــ أي اللوبي وجماعات الضغط) وكان من نتائج الضغط اليهودي: استدعاء إسرائيل لسفيرها في النمسا، وهددت بقطع علاقاتها معها، وهددت دول الاتحاد الأوروبي بعزل النمسا سياسياً، وخفض التمثيل الديبلوماسي معها وهي عضو في الاتحاد الأوروبي، وأكثرهم حماساً كانت فرنسا، ولم يستنكر أحد التدخل في شؤون النمسا الداخلية. وقال وزير خارجية اليهود: «إن جوهر دولة إسرائيل هو ألا ننسى وألا نسمح لغيرنا بالنسيان». أما المسلمون فعليهم أن ينسوا ما ارتكبه اليهود من مجازر في حقهم ❑

ممنوع عقد مؤتمر قمة عربي !!

- جرت محاولات لعقد قمة عربية مؤخراً وباءت بالفشل، ومنذ حرب الخليج وحتى الآن لم تنجح أية محاولة لعقد مؤتمر قمة، ويبدو أن مجرد اللقاء ممنوع على الرغم من أن عقد المؤتمر وعدم عقده سيان، إذ لم ينتج عن المؤتمرات السابقة أية فائدة.
- أما مؤتمرات القمة الإفريقية وهي تضم عدة دول عربية فهي تعقد دوريا ولا يوجد عقبات أمامها ولا تقاطعها أية دولة عربية. ومؤتمرات القمة الإسلامية تعقد دون مشاكل أو عقبات. ومؤتمرات وزراء الداخلية والمخابرات العرب تعقد منذ ١٧ سنة دون انقطاع أو مقاطعة لأن فائدتها الأمنية للحفاظ على الكراسي يستفيد منها الجميع.
- آخر مؤتمر عقده وزراء الداخلية العرب كان في أواخر شهر كانون الثاني ٢٠٠٠م ولم نسمع بمقاطعته من أية دولة عربية، مع أنها لا تتفق على الالتقاء في مؤتمر قمة عربي، وإذا صادف وعقد المؤتمر قد تقاطعه دولة أو دولتان أو أكثر، أما هذا المؤتمر فقد عقد دون تشويش أو مقاطعة وبحث في ما يسمى «الإرهاب» والتعاون الأمني بين الأنظمة.
- بعض الحكام العرب حضر مؤتمر دافوس مؤخرا، وبعضهم أرسل وزير خارجيته أو ولي عهده، أي أنهم حضروا ولم يقاطعوا، واستغل بعضهم كواليس المؤتمر للاجتماع بالوفد اليهودي، وبشمعون بيريز بخاصة الذي أطلق عليه أحد المشاركين العرب «وزير التسلل الإسرائيلي».
- بعد حصول عملية استشهادية في فلسطين ضد اليهود قبل أعوام دعت أميركا إلى عقد مؤتمر شرم الشيخ فلبى الجميع زرافات ووحدانا، وأطلق على المؤتمر مؤتمر مكافحة الإرهاب، فأصبح حضور المؤتمرات وعدم حضورها يخضع لكبسة زر، أو لكلمة سر، تأتي من وراء البحار.
- لو دعت أميركا إلى مؤتمر اقتصادي أو ما شابه ذلك لهرول الجميع دون تردد لأن عصيان الأوامر يغضب الأسياد، فينعكس ذلك على علاقات «الصداقة» والود المتبادل بينهم. لكن ذاكرة الناس جيدة لا تنسى ما حصل وسوف يأخذون حقهم في أول فرصة بإذن الله ❑